الورقة الأولى

التفاعلات داخل إسرائيل، ومفاجآت الحرب

مسعود إغبارية*

مقدمة

تدعي هذه الدراسة أن المقاومة الفلسطينية صمدت بل انتصرت حيث لم تهزم، وانسحب الجيش الإسرائيلي قبل الالتحام بمعارك معها، ولم تحقق إسرائيل أي هدف من الأهداف المعلنة منها والمخفية، سوى الدمار وقتل الناس، ولم تستطع فرض أي شرط من شروطها، في حرب غزة ٢٠٠٨/ ٢٠٠٩ التي شنتها إسرائيل بانقضاض مفاجئ ومكثف لتشل قوى الطرف الفلسطيني وعزائمه بعد حملة تمويه واسعة وعلى مستويات عدة استعملت فيها الدبلوماسية الرسمية مع دول أخرى من بينها تركيا، وبعد تحضيرات مكثفة وتجهيزات ملائمة دامت أكثر من سنتين، وبعد ما أعلن عنه في إسرائيل أن الجيش والمؤسسة الأمنية والسياسية قد استخلصت الدروس من تجربتها الفاشلة في حرب تموز/ يوليو ٢٠٠٦ على لبنان وفق توصيات لجنة فينوغراد للتحقيق في فشل تلك الحرب، وبعد احتلال عسكري مباشر وغير مباشر لأكثر من ٤٠ سنة لقطاع غزة، وحصار من خمس جهات ضمنها السماء لأكثر من ثلاث سنوات، وباستعمال أكثر الأسلحة تقدما في العالم، منها ما هو محرم دوليا مثل السلاح الفسفوري الأبيض والدايم[١]، إنه تطور مهم ونقطة تحول في تاريخ المنطقة والعالم، هز توازنات على أصعدة كثيرة، وفرضيات كثيرة من الأساس، ومن المتوقع أن يكون له تداعيات استراتيجية مهمة.

نستعرض المفاجآت الفلسطينية في الحرب التي كانت سببا أساسيا لانتصار المقاومة وفشل الحرب من الجانب الإسرائيلي، ونستعرض تداعيات هذا الفشل على الساحات

---

* **د. مسعود إغبارية: باحث وخبير في شؤون السياسة الإسرائيلية- فلسطين.**

١. انظر تقرير عاميرة هاس، هآرتس ٥ شباط/ فبراير ٢٠٠٩.

الإسرائيلية كما تجسد في نتائج الانتخابات التي أجريت بعد ثلاثة أسابيع من انتهاء الحرب، أو على الساحة الإقليمية أو في العالم أجمع، وبالتحديد سنستعرض نهوض فلسطينيي الداخل ليقفوا، وقفة منقطعة النظير، مع أهلهم في غزة، وبروز تركيا كقوة إقليمية عظمى لا يمكن تجاهلها بعد اليوم، ولا سيما أنها أخذت شرعية لها من المقاومة الفلسطينية، وجعلت الرئيس المصري محمد حسنى مبارك يتحدث عن إقامة "شرق أوسط جديد" ربما أنه لا يقصد، وهناك مؤشرات مختلفة، ذلك الشرق الأوسط الجديد الذي كانت تتحدث عنه إدارة الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الابن[1].

بالإضافة إلى هذا، تتناول الدراسة تأثير الحرب على التوازنات الدولية، في العالم الإسلامي وفي العالم أجمع حيث ملأت المظاهرات شوارع كثيرة في مدن وعواصم تأييدا للنضال الفلسطيني واستنكاراً لعدوان إسرائيل، وكيف أجبرت هذه الحرب الرئيس الأمريكي أوباما على تغيير أولويات حكمه في السياسة الخارجية ليضع قضية الصراع في الشرق الأوسط في مقدمة أولوياته، بعد أن أعتقد البعض أنه لن يكون عنده وقت للانشغال بها بسبب الأزمة الاقتصادية القاسية في أمريكا وفي العالم اجمع، تستنتج الدراسة أن من يحترم نفسه، كفرد وكمجتمع وكشعب، يحترمه الناس، ومن المتوقع أن تكون هناك تغييرات إيجابية تجاه قضية فلسطين.

أثبتت هذه الحرب بشكل قاطع لا يقبل الجدل، أن شعب فلسطين لن يقبل أقل من هذا، أطال الزمان أم قصر، ولن يرضى أن يدفع الثمن وحيدا لأن قضيته فلسطينية، عربية، إسلامية وإنسانية في آن واحد.

و"فيما يتعلق بالسياسات المتبعة تجاه الضفة الغربية وقطاع غزة فإن الفرق بين سياسات الحكومة الحالية وقوى اليمين هو أن اليمين يقترح استعمال عصا أكثر غلظة لمفاجأتهم، ليس فقط أن حماس لم تنهر، بل أن الحرب على غزة زادتها دعما في الشارع

---

١. ذكر هذا الاسم في خطاب له إلى جانب الرئيس التركي عبد الله غل، في إسطنبول، تركيا في ١١ شباط/ فبراير ٢٠٠٩.

العربي وفي جميع المناطق المحتلة ولاسيما أن هذه هي البداية "[1].

لقد عكست وأثبتت حرب غزة ٢٠٠٨/ ٢٠٠٩ أن إسرائيل في مأزق استراتيجي متزايد مع الوقت، وقادتها مع حلفائهم "على الجانب الخاطئ والمعاكس لمسيرة التاريخ" كما قال الرئيس الأمريكي باراك أوباما في خطاب التنصيب، والتاريخ، كما قال المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي، "يقاس بصعود حضارات ونزول أخرى، والعامل المهم الذي يلعب دورا في هذا هو البعد النفسي للإنسان حين يتحدى".

الكلمة التي تدور حولها هذه الدراسة هي "التحدي" وهي التي غيرت موازين قوى كثيرة في تاريخ الصراع، وهي التي تغذي عجلة التفاعلات المحلية، الإقليمية، والدولية على قدم وساق، حرب غزة ٢٠٠٨/ ٢٠٠٩ جسدت تحديا فلسطينيا، ليس له أسبقية ضد استمرار الظلم وانتهاك الحقوق الأساسية، تجسد في صمود ومقاومة شعب أعزل في منطقة جغرافية صغيرة لا تتجاوز ٣٦٠كم مربعاً، في قطاع غزة، تمت محاصرته من الجهات الخمس، حين يكون هذا التحدي مسلحا بوعي أكثر عند أعداد متزايدة من الفلسطينيين لطبيعة الصراع في المنطقة، وباستعداد أكثر للتركيز على المصلحة المشتركة والهوية المشتركة لسكان قطاع غزة، وبتوجه أقوى للعمل من خلال تنظيمات وعمل جماعي، وزيادة في الاعتماد على الذات ورقي في المواجهة حيث ارتكزت على الإنسان الأكثر إيمانا بربه، بنفسه، وبقضيته العادلة وبطريقه نحو تحقيق الأهداف، وباتباع أساليب عنف سياسية قسم منها ابتكر ليلائم الطبيعة الجغرافية لقطاع غزة، وبوسائل متواضعة، يحدث هذا التطور الطبيعي تغيير موازين استراتيجية في المنطقة وفي العالم أجمع، قسم منها بدأ يشاهد والقسم الآخر قادم، لأن التاريخ الإنساني يرسمه من يؤمنون ويتحدون الظلم، وقد يطول الزمن أحيانا، وقد نشر في الأسبوع الأول من شباط/فبراير ٢٠٠٩ عنوان رئيس في إحدى الصحف العربية الفلسطينية عكس هذه الروح:"إسرائيل قتلت ١٤١٢ فأنجبت غزة

١. من مقال تحليلي عميق تحت عنوان "هكذا لا يقضون على سلطة" كتبه عقيبا ألدار، صحيفة هآرتس، ٢ شباط/ فبراير ، ٢٠٠٩.

٣٧٠٠ مقاوم"[١].

التحدي الفلسطيني لمحاولات السيطرة على الأرض والثروات الفلسطينية بدأ مع الهجرة الصهيونية المنظمة الأولى إلى فلسطين خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وأخذ منعطفا على إثر إعلان وعد بلفور عام ١٩١٧ ومنعطفا آخر مع النكبة الفلسطينية عام ١٩٤٨، من جانب أفراد ثم جماعات ودوائر تتسع مع الوقت تدعم وتؤازر بعضها الأخرى: الدائرة الفلسطينية، العربية، الإسلامية والإنسانية ولم يعد يرى أغلب الفلسطينيين حواجز ما بين هذه الدوائر أو تناقضات، لآلة عسكرية عاتية في المنطقة، إسرائيل ومن يقف من حولها ومن ورائها، أثبت هذا التحدي نجاعته، ليزيد احتمال صنع حضارة إنسانية جديدة، وتاريخ جديد للمنطقة وربما للعالم أجمع، وكي نضع الأمور في بوتقتها العلمية، بدأ التطور يسير في أربع مراحل مترابطة:

- زيادة الوعي لطبيعة الصراع.
- زيادة التوجه نحو الهوية والمصلحة الجماعية.
- زيادة التوجه نحو التنظيم والتنظيمات (اتحاد الطلبة في سنوات الخمسينيات، ومنظمة التحرير سنوات الستينيات)، لتصل القمة مع إقامة تنظيمات ذات مرجعية إسلامية إلى جانب تنظيمات ذات توجه علماني أو مختلط.,
- التوجه نحو استعمال العنف السياسي بمختلف أشكاله[٢].

---

١. صحيفة "عرب الداخل" الصادرة في الناصرة ٦ شباط/ فبراير ٢٠٠٩، تعكس التوجهات العامة على الساحة العربية في البلاد.

٢. حول التطوير النظري للمراحل الأربع في الصراع، وربما نستطيع تطبيقه على كل صراع إنساني مماثل، انظر رسالة الدكتوراه لكاتب هذه السطور:

Massoud Eghbarieh، "Arab Citizens in Israel: the Ongoing Conflict with the State"، Ph.D dissertation، Government and Politics Department، The University of Maryland، College Park، MD USA 1991.

خلال حرب غزة ٢٠٠٨/ ٢٠٠٩ وبعدها بدأ المزيد من الناس يشعرون بأن عليهم أن يأخذوا دورا في هذا التحدي لأنه أصبح مصلحة شخصية، أصبح الكثير يتساءلون: ما الذي نستطيع عمله في مجالاتنا وتخصصنا، للوقوف إلى جانب شعب فلسطين.

في المفاهيم الاستراتيجية التي حددها جنرال جياب الفيتنامي الشهير الذي قاد حرب تحرير بلاده من الاحتلال الأمريكي، أن عدم هزيمة القوات الشعبية (المقاومة الفلسطينية) مقابل القوات النظامية (إسرائيل) يعنى بالضرورة انتصاراً للقوات الشعبية، أي انتصار المقاومة الفلسطينية.

إن إطلاق المقاومة الفلسطينية صواريخ وقذائف الهاون منذ وقف إطلاق النار في حرب غزة في ١٧ كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٩، وكان آخر من نشير إليه في هو أنه في اللحظة التي جلس فيها الإسرائيليون للاستماع للنتائج الأولية للانتخابات اعتمادا على صناديق العينات الساعة ٢٢:٠٠ من ١٠ شباط/ فبراير ٢٠٠٩ حيث أطلق صاروخ على منطقة مستوطنة سديروت، وأطلق مقاومون فلسطينيون في الوقت نفسه النار على سيارة تابعة لمستوطنين قرب مدينة رام الله في الضفة الغربية، يعنى أن المقاومة ما زالت على استعداد لأن تتحدى، وأن عامل الردع الذي يدعي إيهود باراك وزير الحرب الإسرائيلي استعادته في هذه الحرب ليس موجودا، يقول أستاذ جامعي إسرائيلي: "الهدم وآلاف القتلى والجرحى في غزة لم يخلقوا ردعا تأمله الإسرائيليون، فبعد عدة أيام تجدد القصف"[١].

الحرب، التي وصفت بأنها أجبن وأنذل حرب في التاريخ[٢]، زادت المأزق الاستراتيجي الإسرائيلي بعد أن حاولت الحكومة الإسرائيلية، مجندة كامل قوتها العسكرية أن تحقق فيها أهدافها الوهمية.

وحققت هذه الحرب على المستوى الاستراتيجي هزيمة كبيرة لإسرائيل بمعنى أن

---

١. حدد هذا التقييم في مقال تحت عنوان "حكومة الحربين" كتبه بروفسور عنار شليف، ونشر في صحيفة هآرتس ٨ شباط/ فبراير ٢٠٠٩.

٢. وصفها عزمي بشارة في مقابلة على شاشة الجزيرة، ٤ شباط/ فبراير ٢٠٠٩.

إسرائيل قد فشلت في تحقيق أي هدف حددته من الحرب، ونصرا منقطع النظير للفلسطينيين تجسد في الأساس بصمودهم وثباتهم على مطالبهم المقبولة، من المتوقع أن تترجم نتائجها مع ظهور تداعياتها المختلفة على الساحة السياسية والاجتماعية في إسرائيل، كذلك شكلت ضربة لمعسكر التسوية في المنطقة وفي العالم على المستوى الرسمي وهزيمة على المستوى الشعبي، و زاد ترسخا الاعتقاد القائل إن هزيمة إسرائيل أمر ممكن، مهما كان نوع السلاح الذي تمتلكه، ومهما كانت التنسيقات التي تجريها مع من يرغبون في إنهاء الصراع معها ولو كان بثمن بخس، ونجحت في وضع إسرائيل مجدداً، ولاسيما على ساحة الشارع العربي والإسلامي وحتى على ساحة قسم من الشارع الأممي، في خانة "العدو"، بعد أن عملت أنظمة كثيرة، وخلال فترات بدأت بشكل علني على إثر حرب تشرين أول/ أكتوبر ١٩٧٣، على استبدالها بإيران، وفي السنوات الأخيرة بحزب الله في لبنان[١].

نجحت المقاومة الفلسطينية في غزة، في تحقيق ما حددته في المرحلة الأولى، وتعمل جاهدة لتحقيق بقية الأهداف التي تم تحديدها، على الساحة الإسرائيلية، أبرزت الحرب التي بدأت تنكشف للمزيد من الإسرائيليين بأنها خائبة، فحين ادعت إسرائيل أن الحرب هي ضد حماس وليس ضد الفلسطينيين، كانت النتيجة أن أحدا لم يصدقها، أو أن نتيجة الحرب قد رفعت مكانة حماس إلى مستوى لم تعهده من قبل.

هناك من يعتقد، وقد عجز عن تفسير ما حدث وما كانت تهدف إليه إسرائيل، أن هدف إيهود اولمرت الذي قاد الحربين كرئيس وزراء في إسرائيل، كان أن لا يبقى وحده في قفص الاتهام والتحقيقات الجنائية التي تجرى ضده (١٤ تحقيقا حتى ١٤ شباط/ فبراير ٢٠٠٩)، ويريد أن يأخذ معه آخرين إلى غرف التحقيق، وقد تكون من نوع آخر، المزيد من قادة إسرائيل، سواء أكانوا من المدنيين أم من العسكريين.

---

١. طرحها عزمي بشارة في مقابلة على شاشة الجزيرة، برنامج (بلا حدود)، يوم الأربعاء ٤ شباط/ فبراير ٢٠٠٩ الساعة ٢٢:٠٥.

الساحة الفلسطينية: الانتصار تطور طبيعي

يتوج الانتصار الفلسطيني في حرب غزة ٢٠٠٨/ ٢٠٠٩ نشاط المقاومة الفلسطينية للاحتلال المرحلة الرابعة من مراحل التطور التي بدأت منذ بداية الغزو الصهيوني لفلسطين، بفهم الصراع الذي وصل نقطة مفصلية على إثر قيام دولة إسرائيل، حيث أصبح واضحا ويزداد وضوحا للمزيد من الفلسطينيين، مع مرور الوقت، أنه احتلال استعماري إحلالي استيطاني، يعمل كل ما بوسعه، وبطرق مختلفة، من أجل إذلال الشعب الفلسطيني وإجباره على إخلاء وطنه، ويطمح أن يزدهر ويترعرع على حساب تعاسة الشعب الفلسطيني وحريته، وفي المرحلة الثانية يلجأ الفلسطينيون إلى فهم المصلحة المشتركة والهوية الجماعية وتفهم الأهمية في هذا، وتتمحور حول كونهم فلسطينيين أو عربا أو مسلمين، ولا يجدون تناقضات بين الدائرة والأخرى، وفي المرحلة الثالثة يسير الفلسطينيون إلى العمل الجماعي والنشاط المنظم على مختلف المستويات حيث أقيمت تنظيمات وأحزاب على مختلف الأطر، الطلابية منها أو مختلف نواحي المجتمع المدني، وفي المرحلة الرابعة يبدأ الفلسطينيون نشاط العنف الثوري بعد التيقن أن ليس هناك بديلا آخر من أجل فرض أجندتهم السياسية وحصولهم على حقوقهم الأساسية التي يحق للإنسان التمتع بها كونه إنسانا، ويمكن أن نرى بالعمليات العسكرية التي يقوم بها الفلسطينيون قمة في اتباع العنف الثوري وبخاصة تلك العمليات الاستشهادية وإطلاق الصواريخ التي تهدف إلى إرهاب الإسرائيليين، وتحقيق مكاسب سياسية، وليس بالضرورة إلى قتل الإسرائيليين، منها ما تحقق كانسحاب القوات الإسرائيلية الأحادي الجانب من غزة قبل أن تفرض شروطها على الطرف الفلسطيني، وعدم رضوخ حماس لمطالب إسرائيل حين صورت من جانب وسائل الإعلام الإسرائيلية، بأنها "على وشك الانهيار" أدخل الشعور عند الفلسطينيين بأنهم انتصروا، وانعكس هذا بإضافة مطالب جديدة على تلك التي كانت من قبل من بينها عدم التعرض للإسراع في إعادة الإعمار، كما حددها القيادي محمود الزهار حين خرج من قطاع غزة في شباط/ فبراير ٢٠٠٩ للمشاركة في مفاوضات التهدئة وفك الحصار مع مصر.

يقاس النصر الفلسطيني بالعوامل التالية:

١- فشل إسرائيل في تحقيق أهدافها القصيرة والبعيدة المدى وتداعياته استراتيجيا.

٢- اكتشاف العالم مواصفات ومزايا عند الفلسطينيين لم تكن بارزة من قبل، وتلعب دورا مهما في تطور الأحداث وفي تغيير الموازين في المنطقة وفي العالم أجمع.

٣- النصر الذي تتوج في حصول الفلسطينيين على هدفين من أربعة أهداف حددت إثر الهجوم الإسرائيلي، وهي:

- وقف الحرب دون أن تحقق أهدافها بعد أن أيقن قادة إسرائيل أنهم لن يحرزوا انتصارا عسكريا، وإن استمرت الحرب فسيدفعون ثمنا باهظاً لا يستطيعون تحمله بشكل عام وأمام الناخب الإسرائيلي بعد عدة أسابيع على وجه الخصوص.
- انسحاب القوات الإسرائيلية من أراضي قطاع غزة تحت إنذار فلسطيني وتهديد منحت وفقه إسرائيل ٧ أيام للانسحاب فانسحبت.

وفيما يتعلق بالمطالب الأخرى، فك الحصار وفتح المعابر كاملة، فإن في يد الفلسطينيين ثلاث أوراق رابحة تستطيع اللعب بها:

- عدم التوصل إلى تهدئة، أي الاستمرار في المقاومة وإطلاق الصواريخ وربما تفعيلها في الضفة الغربية أيضا، ولهذا التطور فاعلية مهمة، حيث أثبت الفلسطينيون قدرة كبيرة في التحمل، ومقاتلة إسرائيل، واستطاعوا عبر سنوات طويلة فرض توازن رعب ليصبح حقيقة على قادة إسرائيل الاعتراف به ولو كرهوه، وما يقلق الإسرائيليون أن تقييماتهم الاستخبارية تقول إن الجناح العسكري لحركة حماس، كتائب عز الدين القسام، يعارض وقف إطلاق النار مع الجيش الإسرائيلي، حتى تعطى الفرصة لتكبيد الجيش الإسرائيلي خسائر إضافية[1].
- التأييد الذي حصلت عليها المقاومة من الناس في قطاع غزة رغم الحصار ورغم المعاناة، وهذا ما فاجأ الكثير، ومن أبرزهم القادة في إسرائيل.

---

١. هآرتس ٨ كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٩.

- الجندي الإسرائيلي الأسير، غلعاد شليط، حيث أصبح الإفراج عنه هدفا مهما للقيادة الإسرائيلية.

تداعيات فشل إسرائيل في تحقيق أهدافها

لأن معادلة الصراع اليوم، بغض النظر عن الاتصالات والحوارات التي تجرى من وقت لآخر بين الأطراف، هي "ZERO-SUM-GAME" أي لعبة ذات مجموع صفر، وهي ما تريده القيادة في إسرائيل، وما أفرزته الانتخابات الأخيرة في إسرائيل أيضا، بمعنى أن كل نصر لجانب هو خسارة للجانب الآخر والعكس صحيح، كما وكيفا، فإن الفشل الإسرائيلي أو ما يمكن تسميته الخيبة الإسرائيلية، في حرب غزة هو انتصار للمقاومة الفلسطينية، ومن يتذكر الثقة التي بدت على قيادات إسرائيل في الفترة القصيرة التي سبقت الحرب، وبخاصة إثر عدم تجديد التهدئة مع المقاومة، وصلت قمتها في مؤتمر صحفي في مصر بين تسيبي لفني وزيرة خارجية إسرائيل وأحمد أبو الغيط وزير خارجية مصرـ حين هددت أنها ستغير الوضع في غزة بشكل جذري، وتصريحات أولمرت، رئيس وزراء إسرائيل وباراك، وزير الحرب في عدة فرص، يوقن أن غزة ستسحق وسيبتلعها البحر كما حلم إسحاق رابين يوما من الأيام، حين تبدأ الحرب، بعد الضربة الأولى واستخدام آلاف الأطنان من المتفجرات بشكل مكثف، صمد أهل غزة، ضمدوا جراحهم، ودفنوا شهداءهم وساروا في مقاومة الاحتلال، وبعد حرب استمرت ثلاثة أسابيع لم تجرؤ قوات الاحتلال على مواجهتهم حيث تمركزوا داخل المدن والتجمعات، وانسحب الجيش الإسرائيلي وترك وراءه تدميرا وآلاف الضحايا من القتلى والجرحى من المدنيين: ١٤٥٠ شهيدا، من بينهم أكثر من ٤٠٠ طفل وأكثر من ١٢٠ امرأة وأكثر من ١٠٠ شيخ كبير، ودمرت وعطلت آلاف البيوت، وبنايات عمومية ليست لحركة حماس بل للسلطة الفلسطينية، كالمساجد والمدارس والجامعة[1].

١. تدعي الأجهزة الأمنية في إسرائيل أن ثلثي الشهداء في حرب غزة هم من المقاتلين الفلسطينيين بضمنهم أفراد الشرطة الذين استشهدوا في الضربة الأولى وهم يحتفلون بالتخرج. (هآرتس ١٣ شباط/ فبراير ٢٠٠٩).

أهداف إسرائيل من الحرب

ربما بسبب الدروس التي استقتها القيادة الإسرائيلية من حرب تموز/ يوليو ٢٠٠٦ على لبنان، وربما لأسباب أخرى، لم تحدد السلطات الإسرائيلية أهدافا واضحة لحرب غزة، وهو ما خلق بلبلة على مستويات عدة، سوف نحدد فيما يلي بعض الأهداف التي سعت إسرائيل لتحصيلها، ولكنها لم تحقق أيا منها، الأمر الذي يجسد بعينه فشلا قد يصل الأمر ليسمى هزيمة عسكرية.

١. وقف إطلاق الصواريخ وقذائف الهاون على المستوطنات الإسرائيلية القريبة من القطاع مثل مدينة سديروت، حيث لم يتوقف هذا القصف خلال الحرب ولا بعدها، بل ازداد اتساعا ليصل إلى مسافة أكثر من ٤٥كم، وبهذا أدخل أكثر من ٧٠٠ ألف مستوطن إسرائيلي في كثير من المدن المهمة في إسرائيل (عسقلان، أسدود، بئر السبع) في مرمى الصواريخ، وهناك أنباء نشرت في إسرائيل أن لدى الفلسطينيين صواريخ ذات مدى ٦٠كم، أي إنها قد تصل إلى تل أبيب نفسها.

٢. وقف التهريب إلى قطاع غزة، الأمر الذي سيكسر الحصار ولو بشكل معين، وقد قامت إسرائيل بقصف الأنفاق، التي يصل عددها حسب تقرير نشر في صحيفة إسرائيلية إلى ٨٠٠ نفق تم حفرها عبر الحدود مع مصر[١]، واستمر التهريب، لأنه يخدم مصلحة الكثير من الأطراف على جانبي الحدود الفلسطينية المصرية.

٣. استعادة عامل الردع الذي فقد في حرب تموز/ يوليو عام ٢٠٠٦ في لبنان، مع أن هناك تصريحات رسمية إسرائيلية واضحة تشير إلى أن إسرائيل قد أنجزت هذا، إلا انه لم يتحقق، واستمر الفلسطينيون في الحرب بعد أن انسحبت القوات الإسرائيلية من أرض قطاع غزة، واستمرت الصواريخ وقذائف الهاون تتساقط حتى خلال المفاوضات غير المباشرة التي كانت تجريها إسرائيل مع حماس، عبر وزير المخابرات

١. نشر هذا الرقم بواسطة الصحفية الإسرائيلية لصحيفة هآرتس، عمرة هيس، التي دخلت القطاع وتبعث تقاريرها من الميدان.

المصري اللواء عمر سليمان، وسقطت صواريخ بعد الانتخابات الإسرائيلية في ١٠ شباط/ فبراير ٢٠٠٩[١]، ويقول الصحفي الإسرائيلي عقيبا ألدار:"عندما يسمع رؤساء حماس تفاخر زعماء إسرائيل أنهم استعادوا "الردع" يبدأون القهقهة، وليس فقط بسبب أن الصواريخ ما زالت تدق وترعب سكان عسقلان ... إن تهديدات إسرائيل بقصف المزيد من الأهداف في غزة يردعهم كما يردع الموت الاستشهادي وهو في طريقة لتنفيذ عملية استشهادية"[٢]، قال أولمرت حين أعلن وقف إطلاق النار من جانب إسرائيل، ولا أعتقد أن كثيرا من الإسرائيليين يصدقونه، "إن إسرائيل قد حققت جميع الأهداف التي رسمتها، بل حتى أكثر من ذلك"، ورد عليه بنيامين نتنياهو معلقا على سقوط صواريخ القسام وغراد الفلسطينية من قطاع غزة على منطقة النقب الغربية: "أين الردع؟ أين رد الفعل القاسي الذين وعدونا به؟ صواريخ القسام، صواريخ، وما هو الرد؟"[٣] وفي موضع آخر، يقول بنيامين نتنياهو عن تسيبي لفني "طريق الانسحابات التي قامت بها سوف تأتي على إسرائيل بالإرهاب والحروب"[٤]، أي أنها لم تخلق كما ادعى باراك ولفني وأولمرت، عامل الردع، ويقول بيني بيغن[٥]: "وعدونا بحمائم سلام في أنحاء النقب، في المقابل، دخل مليون إنسان في مجال رمي الصواريخ الفلسطينية بكرم ولطف حكومة كاديما"[٦].

---

١. أعلن في إسرائيل عن سقوط ثلاثة صواريخ قسام يوم الجمعة ١٣ كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٩.
٢. صحيفة هآرتس، ٢ شباط/ فبراير ٢٠٠٩.
٣. حداشوت، ٢٤ دقيقة، الصادرة عن صحيفة يديعوت أحرونوت وتوزع مجانا في إسرائيل، ٩ شباط/ فبراير ٢٠٠٩.
٤. يديعوت أحرونوت، ٣ شباط/ فبراير ٢٠٠٩.
٥. وهو ابن مؤسس عصابات الأتسل في فلسطين ورئيس وزراء إسرائيل الأسبق مناحم بيغن.
٦. حداشوت، ٢٤ دقيقة، الصادرة عن صحيفة يديعوت أحرونوت وتوزع مجانا في إسرائيل، ٩ شباط/ فبراير ٢٠٠٩.

نتائج الحرب على إسرائيل

ظاهرة إنكار فشل إسرائيل في الحرب مستمر، حيث ما زال قسم كبير من الإسرائيليين مغيبون لنجاح حملة تمويه محكمة قام بها زعماء إسرائيل وبمشاركة فعالة لوسائل الإعلام مرتكزة على فرض الانطباع أن دولة إسرائيل انتصرت في استطلاع أجري بين الإسرائيليين في الأسبوع الثالث من الحرب حدد ٧٨٪ منهم أن إسرائيل ناجحة في الحرب، وحدد ٨٢٪ أن إسرائيل لم تستخدم أسلحة بشكل مبالغ فيه[١]، فكيف لا يتم هذا وقد قال أولمرت في خطاب إنهاء الحرب في ١٧ كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٩[٢]: "حصلنا على كل ما أردناه وربما أكثر من هذا، "وامتلأت الصحف العبرية بأخبار تفيد أن حركة حماس تحتضر وهي على وشك الانهيار؟ حيث قالت صحيفة يديعوت أحرونوت[٣]: "هناك دلائل انكسار في صفوف حركة حماس في غزة، يظهر على وجه هنية دلائل الانكسار، وهو يطالب بوقف إطلاق النار ... هنية في مأزق"، وتم تجنيد الصحفي المعروف برنيع في نفس الصحيفة ليكتب قائلا: "في خطاب هنية نرى إنسانا مهزوما".

رد الصحفي غدعون ليفي على ما قاله أولمرت في خطاب وقف إطلاق النار، وشعر أن من واجبه الإدلاء بدلوه في هذه الحملة الإعلامية المكثفة، قائلا: "دخل الجيش الإسرائيلي إلى غزة عبثا، في هذه الحرب إسرائيل فشلت فشلا كبيرا، ونحن لا نتحدث فقط عن فشل أخلاقي عميق، وهو أمر خطير بحد ذاته، وإنما بعدم قدرة إسرائيل على تحقيق أهدافها المعلنة، فأغلب قوتهم (أي قوة المقاومة) العسكرية لم تؤذ"[٤]، ولم يستطع الخبراء السكوت على هذا لأنه، وفق رأي بعضهم، تجاوز كل الحدود، يقول غاي بيخور،

---

١. هآرتس، ١٦ كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٩.
٢. يديعوت أحرونوت، ١٨ كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٩.
٣. في تاريخ ١٣ كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٨.
٤. غدعون ليفي، هآرتس ٢٢ كانون الثاني، ٢٠٠٩.

متخصص في الشؤون العربية، في مقال نشرته صحيفة يديعوت أحرونوت حالا بعد انتهاء الحرب ما يلي[1]:

١- في حرب غزة العملية العسكرية... لم تأت بأي نتيجة دبلوماسية، انسحبت إسرائيل بشكل أحادي الجانب دون موافقة الطرف الآخر.

٢- استهدفت الحرب منع تهريب السلاح إلى غزة، إلا أن تهريب السلاح إلى قطاع غزة تجدد حالا بعد وقف إطلاق النار ومن المتوقع أن يستمر، ولم يتغير شيء.

٣- سوف تحاول حماس خلق توازن رعب جديد مقابل إسرائيل، ويعتقدون أن أهدافهم في القصف في المستقبل سوف تكون تل أبيب.

٤- من المتوقع أن تزداد حركة حماس قوة بعد الآن.

هذان الردان، رد ليفي وبيخور، كانا جزءا من ردود تتزايد مع كشف المزيد من الحقائق عن الحرب، هذا التطور يربك القيادة في إسرائيل لأنها، ليس فقط تعتب على ما جرى، وإنما تطالب بإقامة لجنة تحقيق في حرب غزة، ربما هذا الإرباك انعكس في خطاب شمعون بيرس، رئيس إسرائيل في منتدى دافوس في نهاية شهر كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٩، من استمع إلى الخطاب يمكنه ملاحظة ما يلي: كثف بيريس من استعمال جمل دعائية فضفاضة تستعمل في عالم الدعاية والحرب النفسية، كان مرتبكا ومنفعلا وعصبيا ليس من الحدث نفسه وإنما من الموضوع الذي كان يتحدث عنه، وما رفع صوته إلا تعبيرا عن هذا، علق رئيس وزراء تركيا على هذا قائلا إن تصرفات بيرس تعكس شعور المتهم، ولم تصل به الحالة ليقول "شعور المجرم" حيث يستعمل لوصف مثل هذه المواقف، وإن لم يدن بعد من قبل أي محكمة.

وسنستعرض فيما يلي جوانب وتداعيات الفشل الإسرائيلي في حرب غزة:

فشل إسرائيل في الأداور الملقاة عليها

ربما نستطيع القول إن أهم هدف لإسرائيل من وراء حربها على غزة

١. في كتاباته يتخذ بيخور خطا مستهترا بالعرب، وأحيانا أخرى يظهر عدم الاكتراث.

٢٠٠٨/ ٢٠٠٩ وإن لم تجاهر به علنيا، خوفا من فشل تحقيقه، كان إنهاء قوة حركة حماس وربما إضعافها حتى لا تشكل عقبة أمام التوصل إلى سلام بين إسرائيل والقوى "المعتدلة" على الساحة الفلسطينية[١]، وتبين على إثر الحرب، بعد أن كشف أولمرت ما توصل إليه مع الفلسطينيين حين قابل جورج ميتشل، مبعوث الرئيس أوباما الأمريكي لحل الصراع بعد أسبوع من انتهاء الحرب أن ليس لدى إسرائيل اقتراحات أو أفكار ما يقبل بها الفلسطينيون، وأن من اعتقد أن إسرائيل، بضرب حماس وإضعافها، كانت ستوافق على تنازلات من أجل سلام عادل مع الفلسطينيين كان واهما، نعم، قد يلتقى هدف ضرب وإضعاف وربما القضاء على حركة حماس، مع مصالح الغرب الرسمي الذي يعيش في حالة خوف من انتشار الإسلام لدرجة أن الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن قد أتى علينا باصطلاح "الإسلام الفاشي"، ومصالح عدد من دول المنطقة من أجل نزع الفتيل من عدم الاستقرار وعدم تحقيق السلام مع إسرائيل وفق معاييرهم، وقد يكون للغرب أجندة زمنية ولإسرائيل أخرى، فقد صرح بنيامين بن أليعزر على إثر الحرب بأن على إسرائيل التوقف عن لعب دور المطية، ولم يعط مزيدا من التفاصيل، إلا أنه ربما يشير إلى أن إسرائيل كانت تعمل، أيضا، لخدمة آخرين، ولم تستطع إسرائيل تحقيق هذا الهدف، فالحرب على غزة لم تضعف حماس في قطاع غزة، وفي الضفة الغربية، وفي العالم العربي والعالم الإسلامي والعالم أجمع، ودلت استطلاعات أجريت في الضفة الغربية في الفترة القريبة ما بعد الحرب، على ازدياد التأييد الشعبي لحركة حماس.

انتصار المقاومة في الحرب أو فشل إسرائيل فيها دفع إلى تراجع الزخم العربي الرسمي وراء دعم عملية السلام مع إسرائيل، ولو بشكل تكتيكي، على أساس المبادرة العربية التي تم إقرارها في آذار/ مارس عام ٢٠٠٢، وقد حدث هذا بعد محاولات عربية جمة لإقناع إسرائيل بالموافقة على مبادرة السلام العربية بعد أن رفضتها إسرائيل ووصفتها

١. عدم المجاهرة يعود الى أسباب تكتيكية، ويعود أيضا الى اتباع التوصيات التي حددتها لجنة التحقيق الحكومية "لجنة فينوغراد" في حرب تموز/ يوليو عام ٢٠٠٦ على لبنان.

إسرائيل أنها لا تساوي قيمة الحبر التي كتب على الورقة نفسها، وبعد أن عملت السلطة الفلسطينية، وبتمويل أوروبي، وعبر دائرة المفاوضات بمنظمة التحرير، على تسويق هذه المبادرة عبر نشرها بالصحف العبرية ومخاطبة الإسرائيليين بها في الخمس الأخير من عام ٢٠٠٨، فقد صرح الملك السعودي عبد الله بن عبد العزيز في مؤتمر الكويت في النصف الثاني من شهر كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٩، وبعد أيام من انتهاء الحرب على غزة، أن على إسرائيل أن تعرف أن المبادرة العربية المعروضة باسمه لن تكون لمدة طويلة على الطاولة، أي إن هناك إمكانية أن يقوم العرب بسحبها عن الطاولة.

زاد عدم الأمن والأمان بين الإسرائيليين بسبب انتهاء الحرب بدون حسم عسكري وبانسحاب أحادي الجانب من قبل إسرائيل واستمرار إطلاق الصواريخ وقذائف الهاون على المستوطنات الإسرائيلية، حيث زاد ذلك الشعور بعدم الأمن والأمان بين الإسرائيليين، هذا يثبت فشل الحرب، وبالتالي فشل المؤسسة العسكرية في إسرائيل وعلى رأسها إيهود براك، الذي تبناها أثناء الحملة الانتخابية في إسرائيل حين قارن نفسه مع ليبرمان وغيره، بأنه من حمل السلاح وأطلق النار على غيره[١]، حدث هذا والإسرائيليون يعيشون بحالة أقل أمنا وأمانا في صفوفهم، ودل تقرير المخابرات العامة، الشاباك لعام ٢٠٠٨ على ما يلي: قتل ٣٦ مواطنا إسرائيليا في عام ٢٠٠٨ نتيجة أعمال فدائية مقابل ١٣ عام ٢٠٠٧، وارتفعت بشكل كبير نسبة المقدسيين المشاركين في أعمال فدائية[٢]، وبلغ عدد الصواريخ التي أطلقت على الجنوب من قطاع غزة عام ٢٠٠٨ ، ١٦٠٠ صاروخ مقابل ١٣٠٠ صاروخ عام ٢٠٠٧، وعلى إثر الحرب مباشرة طالب الجنرال عاموس غلعاد، رئيس الجناح السياسي والأمني في وزارة الحرب الإسرائيلية، بوجوب

١. انظر تصريح لأهود باراك نشر في صحيفة هآرتس ٢ شباط، ٢٠٠٩ حين انتقد أفيغدور ليبرمان مؤكدا انه، أي ليبرمان، لم يحمل السلاح ولم يطلق النار رامزا انه شخصيا قام بحمل السلاح وإطلاق النار، بالطبع على الفلسطينيين.

٢. نشر التقرير في صحيفة يسرائيل هايوم، "إسرائيل اليوم" الصادرة في ٢ شباط، ٢٠٠٩.

التوصل إلى سلام مع سوريا لأن مثل هذا "يضعف ائتلافا متطرفا وأخطارا تلاقي إسرائيل صعوبة في مواجهتها"[1]، هو بهذا يعترف بفشله في الحرب حيث لم تعد إسرائيل قادرة على مواجهة أخطار.

وتوصل مسؤولون مهنيون إسرائيليون وهم في مناصبهم على إثر فشل حرب غزة إلى استنتاجات مهنية تم نشرها مؤخرا، وهي ذات أبعاد استراتيجية، ومن المتوقع أن تكون موضوع تقييم على مستويات كثيرة، من أبرزها:

١- حدد الجنرال متان فلنائي، نائب وزير الحرب الإسرائيلي خلال حرب غزة بعض الدروس من حرب غزة:

- سيتم الاستغناء في الحروب القادمة التي ستخوضها إسرائيل عن سلاح المدرعات والمشاة وسلاح البحرية.
- ستكتفي بسلاح الجو وبالاستخبارات والجبهة الداخلية[2]، ويشكل هذا اعترافا بفشل كل من القوات البرية وسلاح البحرية الذي عمل على حصار غزة وقصفها من البحر، وقد يشكل هذا بعينه بلبلة لأنه يتناقض كليا مع دروس مستفادة من حرب تموز/يوليو عام ٢٠٠٦ وحتى إثر حرب غزة، حيث إن سلاح الجو وحده لا يحسم معارك مثل تلك التي حدثت في لبنان وفي غزة، بل يتطلب الأمر قوات برية.

٢- فشل استخباري إسرائيلي: ربما أن تصريح رئيس الاستخبارات المركزية الأمريكي، بناتا، أن المخابرات الأمريكية لا تعرف الكثير عن حماس يشكل فشلا استراتيجيا للمخابرات الإسرائيلية لأنها، كما تدعي، تعرف الكثير عن الفلسطينيين وتنظيماتهم، وتدعي أيضا منذ سنوات طوال، أنها الحليف لأمريكا في المنطقة

---

١. هآرتس ٣ شباط/ فبراير، ٢٠٠٩.

٢. مقال كتبه المعلق العسكري لصحيفة هآرتس، أمير أورن، نشر على شبكة الإنترنت، ومن المتوقع انه نشر في العدد المطبوع، بتاريخ ٦ شباط/ فبراير، ٢٠٠٩.

وتزودها بكل ما تملك في هذا المجال[1]، ويمكن تفسير هذا بعدة طرق من بينها:

أ- قوة التنظيم والانضباط الداخلي في حركة حماس وصعوبة اختراقها عالية حيث ترتكز على القاعدة القرآنية "ولا تجسسوا".

ب- التنسيق بين المخابرات الأمريكية والمخابرات الإسرائيلية ضعيف لا سيما أنه من المتوقع أن تكون هناك اتفاقيات أمنية بينهما لتزويد أمريكا بمثل هذه المعلومات، إذا افترضنا أن إسرائيل تمتلكها.

ت- قد يعود إلى افتقار الاستخبارات الإسرائيلية نفسها لمثل هذه المعلومات رغم قيامها بسجن آلاف المعتقلين النشيطين لحركة حماس وعلى رأسهم مؤسس الحركة نفسه، ومختلف القادة الحاليين، وحاليا تعتقل إسرائيل عشرات القادة وآلاف الأعضاء لحركة حماس من بينهم وزراء، أعضاء في المجلس التشريعي، ورؤساء بلديات، وسواء كان التفسير قوة انضباط وتنظيم عالية لحركة حماس، أو عدم وجود المعلومات عند المخابرات الإسرائيلية فإنه يشكل ضربة للمخابرات الإسرائيلية وضربة للصورة التي تحاول تسويق نفسها بأنها "تعرف الكثير عن العرب ويمكن للغرب الاعتماد على هذا".

٣- رئيس المخابرات العامة في إسرائيل يوفال ديسكين عارض بشدة الإفراج عن أسرى فلسطينيين مقابل الإفراج عن غلعاد شاليط، وغير رأيه بعد حرب غزة[2]، وبرر عدم موافقته في الماضي بوجود أخطار كبيرة منها أن الأمر سيزيد ظمأ حماس وغيرها لخطف جنود آخرين، وربما كان تفسير هذا التغيير بوساطة صحيفة هآرتس في مقال افتتاحي[3]: "إسرائيل لم تستطع الإفراج عن شاليط بقوتها الذاتية، ولم تستطع تغيير

---

١. نشر بواسطة وكالات الأنباء، وكتب على شاشة إحدى محطات التلفزة، ربما الجزيرة، في ٦ شباط/ فبراير، ٢٠٠٩.

٢. يديعوت أحرونوت، ٢٢ كانون ثاني/ يناير، ٢٠٠٩.

٣. هآرتس ٩ شباط/ فبراير، ٢٠٠٩.

مطالب حماس نحو المواقف الإسرائيلية، في هذه الظروف الحالية لا يوجد مفر أمام إسرائيل إلا الموافقة على الصفقة بالشروط المطروحة حاليا".

٤- توصل قادة سلاح الجو الإسرائيلي، بعد الدور المكثف لسلاحه في حرب غزة، إلى أن السلاح لا يستطيع في حرب قادمة تقديم الدعم للقوات البرية كما كان الوضع في الحرب، وحسب قول أحد قادة السلاح الكبار فإن ذلك بسبب "تآكل الطائرات العمودية في هذه الحرب التي استعملت فيها ذخائر بكميات كبيرة من بينها إطلاق أكثر من ١٠٠٠ صاروخ من نوع هيل فاير عوريف، ولم تحسم المعركة رغم استعدادات طويلة"[١].

الحرب هزت الاقتصاد الإسرائيلي الذي يعاني بطبيعة الحال من أزمة عميقة،فقد طلبت المؤسسة العسكرية الإسرائيلية من الحكومة الإسرائيلية تخصيص مبلغ ٣,٥ مليار شيقل (حوالي ٩٥٠ مليون دولار) لتغطية تكاليف الحرب، ورفضت وزارة المالية هذا وحددت أنها تستطيع تخصيص مبلغ ١,٥ مليار شيقل، مما حدا بأولمرت لإقرار مبلغ ٢ مليار شيقل كدفعة أولى للمؤسسة العسكرية، وأجبر أخيراً، وفق ما أعلن في وسائل الإعلام الإسرائيلية، على إقرار مبلغ ٢,٥ مليار شيقل.

وعلى مستوى آخر، تدفع إسرائيل، نتيجة هذه الحرب، ثمناً باهظاً في تسويق صادراتها إلى الخارج، بسبب صور الجرائم المروعة دفعت الناس لمقاطعة البضاعة الإسرائيلية في مناطق كثيرة من العالم، ويقول نحاميا شترسلر، المعلق الاقتصادي لصحيفة هآرتس: "مستهلكون أوروبيون كثر يقاطعون بشكل فعلي البضاعة الإسرائيلية، مثقفون ورجال فكر يطالبون بحرب اقتصادية ضد إسرائيل وفرض مقاطعة اقتصادية كاملة ورسمية"[٢]، تركيا وجنوب إفريقيا هناك تباطؤ في التعامل مع التجار الإسرائيليين،

---

١. هآرتس ٩ شباط/ فبراير، ٢٠٠٩.

٢. الملحق الاقتصادي لصحيفة هآرتس، ذا ميركر، ٣ شباط/ فبراير ، ٢٠٠٩ ص ٢٣.

والتوجه إلى تأجيل صفقات تجارية في المستقبل[١]، وإذا استمر رفض عمال من ميناء ديربن في جنوب أفريقيا تفريغ سفينة مستأجرة من قبل شركة إسرائيلية، سوف يعتبر هذا التطور نقلة نوعية في معاقبة إسرائيل[٢]، وفي بريطانيا مطالب متزايدة لمقاطعة البضاعة الإسرائيلية وحتى عدم عرضها في المراكز التجارية على الإطلاق، ويقول غيل إيرز، الملحق الاقتصادي في السفارة الإسرائيلية في بريطانيا: "الجو غير مريح ويبدو أنه يعود إلى وجود الكثير من المسلمين ومن ذوي التوجهات اليسارية[٣]، وفي الهند، رغم أن هناك تقارير تشير إلى استمرار النشاط الاقتصادي كما كان، إلا أن أنباء تشير إلى وجود ضغوطات من مجموعات يسارية في الهند لوقف التعاقد مع شركات إسرائيلية في مجال الأسلحة في صفقة وصل حجمها إلى ٢,٦ مليار دولار[٤].

العبر من الحرب

كان من المفروض أن يتعلم الجيش من أخطاء قام بارتكابها في حروب سابقة، ولكن يبدو أن هناك من يوهم الآخرين أن الأمر كذلك، وهو في الحقيقة ليس كذلك، وحدد بروفسور يحزقائيل درور، أحد أعضاء لجنة فينوغراد، أنه حدث تحسن في حرب غزة في المجالات التالية عما كان في حرب تموز/ يوليو عام ٢٠٠٦[٥]:

١- عدم التصريح عن أهداف خيالية لا يمكن تحقيقها.

٢- عرض خطط ميدانية أمام الحكومة.

٣- تحديد توقيت العملية وفق العقلية الإسرائيلية وبدون انفعال.

---

١. الملحق الاقتصادي لصحيفة هآرتس، ذا ميركر، ١١ شباط/ فبراير ، ٢٠٠٩ ص ١٨.

٢. نشر أن سلطات الميناء قد استأجروا عمالا من الخارج لتفريغ السفينة المستأجرة من قبل شركة إسرائيلية.

٣. الملحق الاقتصادي لصحيفة هآرتس، ذا ميركر، ١١ شباط/ فبراير ٢٠٠٩، ص ١٨.

٤. المصدر نفسه، ص ١٨.

٥. هآرتس ٢٩ كانون أول/ ديسمبر ٢٠٠٨.

٤- مفاجأة العدو.

٥- مشاركة أكثر لوزيرة الخارجية.

٦- استعمال سلاح الجو بشكل أنجع.

وقد نتساءل ما علاقة هذه المواضيع مع فشل الحرب على غزة؟ بدأت بعض الإصلاحات، مثل عدم تحديد أهداف كبيرة على إسرائيل، فتبين أن الأهداف التي حددتها إسرائيل، وإن بدت قليلة في نظر زعامة إسرائيل، كانت عصّية على التحقيق مثل القضاء على حركة حماس، وتغيير الواقع في القطاع بشكل جذري، ووقف إطلاق الصواريخ، ومنع تهريب الأسلحة، والإفراج عن الجندي شاليط.

وفشلت إسرائيل في اتباع قواعد الحرب كما نصت عليها المعاهدات الدولية، ولم تكن زيادة المطالبة بتقديم زعماء إسرائيل للمحاكمة لارتكابهم جرائم حرب، وجرائم ضد الإنسانية، وجرائم عدوان، وجرائم إبادة جماعية، بوساطة الكثير من الجمعيات الحقوقية في العالم، أمرا حيويا عند مئات الجمعيات الحقوقية في العالم، لولا دلائل أولية بأن إسرائيل قد ارتكبت جرائم حرب أي فشلها في اتباع قواعد الحرب كما ينص عليها القانون الدولي[1]، وكان الوقع حادا على الإسرائيليين، وفي مقابلة مع الدكتور المحامي الدولي لؤي ديب القاطن في النرويج وعضو الائتلاف الدولي للدفاع عن الفلسطينيين أشار إلى ما يلي[2]:

أولا: القانون في أوروبا يحمي حقوق الإنسان في كل مكان وكل من واجه انتهاكا لحقوقه يمكنه التوجه للقضاء في أوروبا.

---

١. هذه ليست المرة الأولى، فهناك دلائل تشير، من بينها ما ذكر في فيلم "مذكرات يوسف نحماني" إن ارتكاب جرائم حرب كانت متبعة منذ ١٩٤٨، وهناك من يفكر في اللجوء لمقاضاة من بقي من المسؤولين عن تلك المجازر.

٢. كانت المقابلة على معبر رفح مع أحمد منصور، في إطار برنامج "بلا حدود" الأربعاء ١١ شباط/ فبراير ٢٠٠٩.

ثانيا: محاولات إلغاء قوانين في أوروبا كي تسهل على إسرائيل الفلتان من المحاسبة القانونية، لن يفيد إسرائيل بعد أن تم تقديم دعاوي في العديد من الدول الأوروبية لأنه ليس للقانون أثر رجعي.

ثالثا: ناشد كل فلسطيني يسكن في أوروبا، قد أصيب قريب له من الدرجة الأولى أو تضررت له أملاك حتى ولو كان بشكل غير شرعي في إحدى الدول الأوروبية، أن يقدم دعاوي ضد إسرائيل.

رابعا: في النرويج قوانين هامة لمحاكمة قادة إسرائيل، ولن تخضع تلك القوانين لتغيرات أو لضغوط سياسية، وسوف يقدم دعوات ضد زعماء إسرائيل.

خامسا: لقد تذكر زعماء إسرائيل شطب أسماء المشاركين في الحرب متأخرا بعد أن تم الحصول على المشاركين في الحرب على حد ما قاله.

سادسا: هناك تعاون مع الكثير من الدول، ولاسيما في أوروبا وفي أمريكيا الجنوبية.

سابعا: عبر عن أمله وتفاؤله أن مرتكبي الجرائم في إسرائيل لن يفلتوا هذه المرة من العقاب، وسيكون، بعد محاصرتهم دوليا، أقل عقاب لهم البقاء في إسرائيل طيلة حياتهم، أي لا يستطيعون الخروج منها.

يقلق إسرائيل في هذا المجال عدة تطورات مما دفعها لإقامة لجان متخصصة من أجل منع هذا، ويرفضون نشر أسماء الجنود والضباط الذين شاركوا في الحرب ،ووصل بهم الأمر إلى "إخفاء، ومسح، أسماء ضباط في وثائق رسمية"[1]:

أولا: فشلت محاولة إخفاء آثار أعمالها من تدمير وقتل بعد أن منعت الصحفيين من دخول غزة رغم حصولهم على إذن من المحكمة العليا بذلك، وتراكمت دلائل قانونية واضحة لتجريم قادة إسرائيل، يقول البروفسور الاسرائيلي رتشارد فولك، المفوض التابع للأمم المتحدة تجاه المناطق الفلسطينية، أن هناك دلائل قانونية تجرم إسرائيل بارتكاب جرائم حرب في غزة، مضيفا: "لا يوجد لإسرائيل حق في

١. هآرتس ٥ شباط/ فبراير ٢٠٠٩.

(يقصد في دوافع هذه الحرب) الدفاع عن نفسها وفق القانون الدولي،" وطالب بتشكيل لجنة تحقيق مستقلة في الأمر "[1].

ثانيا: بدأ مدعي محكمة الجنايات الدولية، لوي مورنو أوكامبو، بعد طلب رسمي من السلطة الفلسطينية النظر في بدء التحقيق.

ثالثا: هناك تحضيرات من قبل مئات الجمعيات في العالم لمقاضاة قادة الاحتلال.

رابعا: بدأت المطالبة في إسرائيل لإجراء تحقيق رسمي تحت شعار "إذا لم يكن هناك ما نخفيه، لماذا لا يتم التحقيق؟ "[2].

خامسا: بدأ المدعي العام في تركيا التحقيق في الأمر بناء على شكاوى قدمت بواسطة جمعيات وهيئات إسلامية.

سادسا: هناك يهود من بين النشيطين لمحاسبة حكام إسرائيل، فقد وجهت منظمات يهودية في العالم نداء إلى الجنود الإسرائيليين طالبتهم فيه: التوقف عن ارتكاب جرائم حرب في غزة[3]: "نحن يهود من كل بقاع الأرض نناشد جيش إسرائيل الاعتراف بأن جرائم تنفذ ضد سكان غزة، نحن لن نسكت حين يجبر قادة إسرائيل الجنود على ارتكاب جرائم حرب، وجرائم ضد الإنسانية، وسوف يأتي يوم يقدم فيه هؤلاء للقضاء، جنوداً إسرائيليون أصحاب ضمير يستطيعون ومجبرون على

---

١. مقابلة مع وكالة رويترز نشر على موقع nana10.co.il في ٢٢ كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٩

٢. نشر في هآرتس، ٤ شباط/ فبراير ٢٠٠٩، ووقّع عليها كل من جمعية حقوق الإنسان في إسرائيل، بمقوم- نخطط من أجل حق التخطيط، بتسيلم-مركز المعلومات الإسرائيلي حول حقوق الإنسان في المناطق، غيشا- مركز المحافظة على حق التحرك، اللجنة العامة ضد التعذيب، ياش دين-منظمة متطوعين لحقوق الإنسان، مكان حماية الأفراد، عدالة-المركز القانوني لحقوق الأقلية العربية في إسرائيل، أطباء لحقوق الإنسان، المحافظون على القانون- ربانيون من أجل حقوق الإنسان.

٣. هآرتس ٢٣ يناير، ٢٠٠٩. وقعوا على العريضة أكثر من ٨٠٠ شخص ومن ٣٩ دولة. الأسماء الكاملة موجودة على الموقع التالي: www.ajjp.org/campaigns/ViewOpenLetter.php

إيقاف هذه الحرب الخطرة، غير القانونية، وغير الأخلاقية، وإن هذه الحرب الإجرامية لا تساهم في خدمة أمن ورفاهية اليهود، نناشدكم اتخاذ الإجراءات لوقف هذه الجرائم التي ترتكب ضد الشعب الفلسطيني، ونطلب منكم عدم الانصياع لأوامر غير قانونية، نطالبكم بوقف الحرب، وأنتم قادرون".

سابعا: كثير من المقالات بدأت تناقش هذا الموضوع، حيث كتب الصحفي الإسرائيلي المخضرم أوري أفنيري في ٣١ كانون الثاني، يناير عام ٢٠٠٩ مقالا تحت عنوان "علم أسود"[١] عبر فيه عن سعادته لتقديم قادة إسرائيليين للمحاكمة في أسبانيا لقيامهم بجرائم حرب وجرائم بحق الإنسانية ضد الفلسطينيين[٢]، وأضاف ليس هناك أدنى شك في أن جرائم حرب قد ارتكبت في حرب غزة، والسؤال الذي يبقى للإجابة عنه هو ما حجمها ومن الذي قام بارتكابها شخصيا؟ ولم يخالفه في هذا الرأي الصحفي الإسرائيلي غدعون ليفي الذي قال "كل من يتتبع الحرب على غزة يعرف أن جرائم حرب قد ارتكبت وبقي السؤال من هو المسؤول؟[٣]، وأكد الكاتب الإسرائيلي يغئال لبيب أن قرار إسرائيل منح جنودها الحماية القضائية وعدم نشر أسماء أو صور الجنود الذين اشتركوا في حرب غزة هو إقرار بارتكاب جرائم حرب،" وأضاف "لقد تصرف الجيش الإسرائيلي في غزة كما تصرف سلوفودان ميلوسوفتيش، تجاه المسلمين في بلاد البلقان[٤].

ومع هذا سوف تحاول إسرائيل إثبات أن ما قامت به هو قانوني ويسير وفق

---

١. نشره على موقعه في الانترنيت تحت عنوان:

٢. بسبب قيامهم بقصف بيت كان يسكن به الشيخ صلاح شحادة في ٢٢ تموز ٢٠٠٢ حيث قتل معه ١٣ إنسانا معظمهم من الأطفال.

٣. هآرتس ١ شباط/ فبراير ٢٠٠٩.

٤. مقال كتبه يغئال لبيب، نشرته موقع nana10.co.il بتاريخ ٢٩ كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٩ في صفحة "أخبار، وأراء اليوم".

المسلمات والأعراف الدولية، وتعلن ذلك على الرغم من ثبوت حقائق خطيرة من بينها:

١. تفاجأ الكثير من الأطباء والمراقبين أن إسرائيل استخدمت أسلحة محرمة، حددها طبيب مسؤول في مستشفى الشفاء في غزة بأنها تشمل: قنابل الفسفور الأبيض، قنابل الدايم، واليورانيوم المخضب واليورانيوم الفعال[١]، وأكدت الصحفية عميرة هيس، أن ما حدث في غزة يلائم نتائج متوقعة من استعمال الفسفور الأبيض كما حُددت في ثلاث وثائق إسرائيلية رسمية[٢].

٢. استهدفت إسرائيل الكثير من الأهداف المدنية مثل قصف مدرسة الفاخورة في مخيم جباليا بقنابل فسفورية بيضاء وشاهدها العالم على قناة الجزيرة بثاً حياً، وتدعي، رغم إنكار ممثلي وكالة الأونروا، المسؤولة عن المدرسة، أنه قد أطلقت النار على قواتها من المدرسة نفسها، وحين قصفت إسرائيل مخازن الاونروا وحرقت آلاف الأطنان من المؤمن والاحتياجات الأساسية ادعت أن مقاومين أطلقوا النار على قواتها من المكان، الأمر الذي عاد ونفاه المتحدث باسم الأونروا في قطاع غزة.

مفاجآت الحرب

بعد فترة قصيرة من حرب غزة ٢٠٠٨/ ٢٠٠٩ يمكن تحديد المفاجآت التي لعبت دورا في انتصار المقاومة الفلسطينية على الجيش الإسرائيلي، ومن أهمها:

المفاجأة الأولى: الإنسان الفلسطيني

من أبرز المفاجآت في هذه الحرب هو الإنسان الفلسطيني، المؤمن بربه، وبعدالة قضيته، وبنفسه، وبأن الوقت قد حان لدفع الثمن من أجل الحياة الحرة الكريمة، حيث يعتمد هذا الإنسان على القرآن كخارطة طريق لمحاربة أعدائه، ولا يتجاهل دور العدة في مواجهة الأعداء، ويرون أنه فريضة دينية: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم..."، وعندما وضع الفلسطيني الجديد نفسه أمام

---

١. مقابلة مع رئيس في مستشفى الشفاء، مقابلة مع الجزيرة، ٥ شباط/ فبراير، ٢٠٠٩ النشرة الإخبارية المسائية، الساعة ١٩:٠٠.

٢. هآرتس ٥ شباط/ فبراير، ٢٠٠٩.

خيارين، إما النصر أو الشهادة، حارب بشراسة، وقد أكد جنود إسرائيليون أنهم واجهوا مقاتلين فلسطينيين عنيدين يتصدون بكل قوة للقوات الإسرائيلية، ولم يقع الكثير منهم في الأسر رغم قيام إسرائيل بتحضير عدة معسكرات اعتقال ضخمة لاستيعاب آلاف الأسرى الفلسطينيين، وليس هذا فقط، بل قامت إسرائيل بإغلاق عيادات إسعاف أولي نصبتها قرب الحدود كي تقوم بإسعاف الجرحى الفلسطينيين، لأنهم، رغم الحاجة الماسة للإسعاف، رفضوا القدوم إلى هذه العيادات.

وفي أغلب الأحيان يكثر زعماء حركة حماس الاقتباس من القرآن الكريم في تفسير ما يجري مما يساعد على التحمل والتفاؤل لدى مقاتليهم، حيث هناك الكثير من الآيات تتحدث عن النصر "ألا إن نصر الله قريب"، أو الحديث الشريف "النصر صبر ساعة"، وكثر خلال الحرب التحريض على القتال واستحضروا عشرات المرات القول الإلهي "وحرض المؤمنين على القتال..."، ولم ينسوا في خطاباتهم تحريض المؤمنين على عدم الهوان والضعف، ومن بين أبرز الآيات القرآنية التي تحث على عدم الهوان: "ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون، وكان الله عليما حكيما" (النساء، ١٠٤)، وفي موقع آخر في القرآن الكريم يقول الله تعالى "ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين" (آل عمران، ١٣٩)، ويقول الله أيضا: "فلا تهنوا وتدعوا إلى السَّلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يَتِركم أعمالكم"، (محمد، ٣٥)ـ فقد تحدث إسماعيل هنية في أول إطلالة له خلال الحرب، بكثافة من القرآن الكريم وارتكز على السنة النبوية، واختتم خطابه بدعاء مثير ومؤثر رأى فيه معلقون أسلوبا جديدا في مخاطبة الناس على المستويات كافة، ووصل إسماعيل هنية القمة، حين وجه كلامه لمقاتلي حماس والمقاومة بعامة وقال لهم "أقبّل الأرض التي تحت أقدامكم"[1].

١. هذا يذكرنا بخطاب السيد حسن نصر الله، خلال حرب تموز/ يوليو، ٢٠٠٦ حين خاطب مقاتلي حزب الله وقال: (أقبل أقدامكم)، فكلاهما استوحى الفكرة من قصيدة كتبها شاعر المقاومة الفلسطينية، توفيق زياد،وغناها أحمد قعبور وتقول كلماتها: "أناديكم، وأشد على أياديكم، وأبوس الأرض تحت نعالكم وأقول أفديكم".

وعلى مستوى استراتيجي يدخل في مجال الثقافة السياسية الفلسطينية، كشف الدكتور خليل الشقاقي[١]، في محاضرة في الجامعة العبرية له في مؤتمر شارك فيه كثير من الأمريكيين الذين كانوا عبر سنوات طويلة فاعلين في "محاولات التوسط" في الصراع العربي-الإسرائيلي، ونظرائهم الإسرائيليين، وبخاصة السفراء، إن الفلسطيني لا يغير موقفه السياسي مقابل إغراءات مادية[٢]، وهذا ما جعل الكثير يستغربون هذا، وينظر الواحد إلى الآخر، ربما لسان حالهم كان يقول، هذا ما كنا نجهله، وربما هذا ما يفسر الفشل الذي لم يحرز حتى الآن في عملية المفاوضات والتحاور بين الطرفين، كما حددته دراسة جديدة من معهد السلام الأمريكي[٣]، وهذا ما تأكد من أخبار نشرت يوم الجمعة ١٣ شباط/ فبراير عام ٢٠٠٩ أن حركة حماس قد رفضت الحصول على ٤٠٠ مليون دولار مقابل الإفراج عن الجندي المخطوف غلعاد شليط[٤]، نفس النتيجة الهامة يمكن استخدامها لتفسير صمود أهل غزة وأهل الضفة في الحصارات المتعددة التي وصلت قمتها في حصار غزة لأكثر من سنتين، إن الفلسطيني لا يغير موقفه نتيجة نقص في الأموال والإغراءات المادية الأخرى.

---

١. مدير المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية في رام الله، فلسطين، الذي يجري استطلاعات ومسح دوري بين الفلسطينيين.

٢. المؤتمر عقد في الجامعة العبرية، القدس في ٢٨ كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٩ تحت عنوان:
"American Mediation in the Israeli-Arab Conflict"، sponsored by: the United States Institute of Peace، Fulbright، University، Swiss Center the Hebrew Jerusalem.

3. Daniel C. Kurtzer، Scott B. Lasensky (2008) "Negotiating Arab-Israeli Peace: American Leadership in the Middle East"، United States Institute of Peace Press، Washington D.C،

٤. الخبر نشر في صحيفة "الجمهورية" المصرية نقله موقع صحيفة هآرتس، في ٢٣ شباط/ فبراير ٢٠٠٩.

المفاجأة الثانية: الشهادات الإسرائيلية

وصفت مصادر عسكرية إسرائيلية الحرب في شرق غزة بأنها "صعبة، يقف أمامنا مقاتلون متفوقون وحكماء واستطاعوا إقامة تحصينات جيدة"[1].

ضابط إسرائيلي يحمل اسم أيلان مالكة يقول عن قوات المقاومة[2]: "حتى بعد أن تسيطر على منطقة، تتأكد بسرعة أنك لم تسيطر عليها، لأن مقاتلي المقاومة مختبئون تحت الأرض، في اليوم الثاني هاجمنا فدائي، خرج من نفق بين بنايتين، وبدأ يطلق النار، خلق بلبلة، كان علينا الاهتمام أن لا يتم إطلاق النار علينا من قبل قواتنا، من برج في تل الهوى أطلقوا علينا النار من الطبقات العليا ونحن في الطابق الأول، قمنا بمفاجأتهم ولكنهم استمروا في المواجهة، أطلقوا قذائف الأر بي جي على مدرعاتنا ودباباتنا ومصفحاتنا، أصابوا مصفحة وكادت أن تنفجر وتقتل بداخلها ١٠ جنود... حين يشعرون بقوة الطرف الإسرائيلي ينسحبون إلى الوراء..."

الضابط آبي: "واجهنا قوات مهنية جداً... وجدنا بيوتا مفخخة.. هناك في غزة أناس عرفوا التفخيخ أكثر من معرفة قائد مماثل في إسرائيل، كلما دخلنا إلى الجنوب، داخل المدينة، حارت حماس بشكل جدي وأكثر شراسة".

المفاجأة الثالثة: قوة صوت الناخب حاسمة، الديموقراطية الفلسطينية

كشفت حرب غزة مدى قوة الصوت حين يلتقي مع قوة الرصاصة في مقاومة أكثر الجيوش تجهيزا في الشرق الأوسط، ويستطيع كلاهما معا، إفشال الحرب الإسرائيلية وإجبار إسرائيل بعد ثلاثة أسابيع على الانسحاب الأحادي الجانب، أثبتت حرب غزة أن الفلسطيني حين يصوت لإنسان يرى في صوته عهدا أن يقف إلى جانب ذلك الإنسان حين يتعرض للخطر بسبب ما طرحه أمام الناخب كي يحظى بصوته، حين صوت أغلب الفلسطينيين في قطاع غزة لصالح حركة حماس لن يتركوها لوحدها تواجه الحرب الإسرائيلية، ويصبح الالتزام شخصيا وجماعيا في آن واحد.

---

١. هآرتس ٥ كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٩.

٢. هآرتس ٢٣ كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٩.

مهما حاول البعض، وبخاصة في الغرب تبرير سياستهم في فرض الحصار على حكومة الوحدة الوطنية الفلسطينية التي تشكلت بعد انتخابات المجلس التشريعي في كانون الثاني/يناير عام ٢٠٠٦، خدمة لمصالح ضيقة، وخلافا لمبادئ يطبقونها في بلادهم ويرددونها، فإن ما قاموا به كان خطأ كبيراً، وسوف يتأكدون أن الانتخابات الفلسطينية في كانون الثاني/ يناير عام ٢٠٠٦ كانت مفصلاً في تاريخ تطور الديمقراطية في الشرق الأوسط.

المفاجأة الرابعة: الحصار انقلب إلى نقمة على إسرائيل خلال الحرب

حين يتعود الإنسان، الذي يؤمن بعدالة مسيرته الحياة، لصعوبات يلجأ إلى الصبر، وحين يوقن أن الله يطلب منه عند المحن أن يصبر ويصابر، يزيد هذا الأمر من قدراته على تحمل المشقات، فالحصار كان شاقا جداً، ولكن أهل غزة تحدوه مدركين جيداً منذ البداية أن الهدف منه كان إخضاع الشعب الفلسطيني لمسار التسوية، والسير في طريق لا يرغبون فيه، وأصبحت المعادلة في نظرهم تحدي الاحتلال وعدم الرضوخ لمطالبه.

مع الإيمان والفهم السياسي لأهداف الحصار، أصبح الحصار عاملاً مساعداً للصمود خلال الحرب، فقد أوقف الحصار منذ البداية النشاطات الاقتصادية بنسبة كبيرة الأمر الذي وضع الإنسان الفلسطيني في وضع من ليس عنده ما يخسره، وهذا ما زاد شراسة المقاومين، فالحصار قد رفع قدرة الفلسطينيين على التحمل ،وكان شاملا لأن جميع الناس كانوا ضحية له، الحصار الذي فرضته إسرائيل أفقد الكثير من الناس أعمالهم فوجد الآلاف منهم خياراً، وهو الانخراط في صفوف المقاومة للعمل ولبناء الدشم وحفر الأنفاق والتحصينات، ولم نفاجأ حين كتب في وسائل الإعلام الإسرائيلية أن بيوتا احتلت في تخوم مدينة غزة كانت موصولة بالعديد من الأنفاق في آن واحد، يقول إيلي يشاي، وزير التجارة والصناعة في إسرائيل أنه "لو كان في غزة أماكن عمل وصناعات لعرف الطرف الفلسطيني أنه سيخسر، وستكلفه استمرار إطلاق الصواريخ بهدم الصناعة عنده، مما يجبرهم على وقف إطلاق النار"[1].

١. الملحق الاقتصادي لصحيفة هآرتس، ذا ماركر، ٣ شباط/ فبراير ٢٠٠٩، ص١٣.

بالإضافة إلى هذا، كان مفعول الحصار محدودا للعوامل التالية:

١- هناك حدود حمراء لا تستطيع إسرائيل تجاوزها رغم محاولات الابتزاز المتكررة من بينها أنها إن جوعت الناس ومنعت عنهم المياه ستواجه محاكمة جريمة حرب وجريمة ضد الإنسانية وفق اتفاقيات جنيف السارية في تلك المناطق،ووفق قرار محكمة العدل الدولية في موقفها تجاه جدار الفصل العنصري في المناطق المحتلة.

٢- أغلب سكان غزة من اللاجئين وتكفل الأمم المتحدة تزويدهم بالمعونات الأساسية، منع هذا والمس به قد يعرض إسرائيل للمقاضاة.

٣- لعبت الأنفاق دوراً في تمرير أمراً وما يطلبه الناس والمنظمات.

المفاجأة الخامسة: المقاومة عبر دروس التاريخ

يبدو أن قادة حماس ومختلف منظمات المقاومة قد استعدوا لمواجهة إسرائيل وفق أسس علمية ترتكز على قاعدة تحديد العدو بدقة ودراسته مع تقييم دقيق لنقاط القوة ونقاط الضعف عند المقاومة وعند الطرف الآخر، وكان من أبرز الاستعدادات:

١- هناك دراسة جيدة لطبيعة المنطقة طبوغرافيًا، عرف وقدر دور الأنفاق، والأمر ممكن بل سهل لأن منطقة غزة منطقة ساحلية رملية ولا يتطلب حفر الأنفاق والدشم والملاجئ فيها جهوداً كبيرة.

٢- الاعتماد على قوتهم الذاتية لأن إمكانية محاصرة المنطقة أمر متوقع، لذا عندما قدمت إسرائيل، خلال الحرب، وحاصرت غزة والعديد من المدن، كان الجواب لهذا "فهل يحاصر المحاصرون؟"، أقيمت مصانع، ولو كانت بدائية، لصناعة العبوات والقنابل اليدوية والأسلحة الخفيفة كذلك قاذفات الدروع وصواريخ القسام وما تتطور عنه، وهذه جميعها سلاح فعال في حرب المدن والتجمعات السكنية.

٣- انتهجت المقاومة استعمال الصواريخ كسلاح لإرهاب العدو، ليس بالضرورة قتله تمشيا مع الأمر القرآني :"ترهبون به عدو الله وعدوكم"، من أجل تحقيق هدفين في آن واحد:

أولا: خلق خوف وذعر عند المستوطنين الإسرائيليين ليصبح استيطانهم للأرض غير آمن، وخاصة أنهم يسكنون قرى ومدنا للاجئي غزة بعد طردهم منها عام ١٩٤٨[١].

ثانيا: خلق ميزان رعب إستراتيجي، ليترجم محصوله بمكاسب سياسية، نجح هذا الاستعمال في حرب تموز/يوليو عام ٢٠٠٦ على لبنان، ونجح في حرب غزة ٢٠٠٨/ ٢٠٠٩.

٤- عرفوا أن سر نجاحهم في مقاومة الإسرائيليين هو الالتحام مع الناس وجعل الناس يشعرون أن المقاومة هي من أجل الدفاع عنهم، وما زاد العلاقة قوة هو نجاح قيادة المقاومة في خلق نموذج في التضحية، حيث هناك الكثير من القادة استشهدوا، وكان على رأسهم الشيخ أحمد ياسين، والدكتور عبد العزيز الرنتيسي، وخلال الحرب تم اغتيال البروفسور نزار ريان[٢]، وبعد أسبوعين قتلت إسرائيل القائد ووزير الداخلية ورئيس كتلة حماس في المجلس التشريعي سعيد صيام، حين كان في بيت أخيه، بالإضافة، هناك من استشهد أولادهم وكان من أبرزهم الدكتور محمود الزهار حيث سقط اثنان من أبنائه شهداء، هذا النموذج يزيد الانضباط والاستعداد عند الإنسان لتقديم أغلى ما يملك.

٥- استفاد الفلسطينيون من تجارب الشعوب الأخرى، وخاصة تجربة المقاومة اللبنانية، والتجربة الفيتنامية، والتجربة الصينية، ولم ينسوا التجربة الروسية في محاربة الغزاة

---

١. أكثر من ٧٥٪ من سكان غزة من اللاجئين وقد تم تهجيرهم أو تهجير آبائهم وأمهاتهم من القرى والمدن المجاورة لقطاع غزة عام ١٩٤٨.

٢. إسرائيل في حملتها النفسية ادعت أن زعامة حماس تختبئ وتترك الساحة للمدنيين كي يقتلوا. لقيت حليفا لها: السفير المصري السابق في إسرائيل محمد بسيوني، رئيس اللجنة الخارجية في البرلمان المصري، الذي قال إن قادة حماس يختبئون ولا يهتموا إلا بأنفسهم" هآرتس ٢ كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٩.

حتى منذ زمن نابليون في بداية القرن التاسع عشر التي رسمها جنرال كوزوطوف حين أمر تجنب المواجهة مع القوات الفرنسية الغازية في المناطق التي تحظى هي بتفوق نوعي وكمي، ولم يتصدى لها إلا في حالات معينة لينهكها، حيث اتبعت المقاومة الفلسطينية التكتيك نفسه، القوات الإسرائيلية المناطق المكشوفة وغير المسكونة وتعرضت لمقاومة هنا وهناك، فقد احتلت خاصة حين حاولت دخول الأحياء السكنية، وانسحبت في النهاية دون أن تواجه قوات المقاومة الأساسية، وفيما يتعلق بالحصار، عرف الفلسطينيون أنهم ليسو أول من يحاصر ويتألم، عرفوا جيدا حصار النازيين لمدينة لننغراد، بتروسبيرغ، الروسية لمدة ٩٠٠ يوم، ومات مئات الآلاف منهم جوعا، لكنهم، بسبب إيمانهم بعقيدتهم وبعدالة قضيتهم التي تتلخص في طلبهم العيش بحرية وبكرامة، انتصروا على الظلم النازي وعلى العدوان.

المفاجأة السادسة: جنرال الإعلام

إلى جانب العوامل السابقة التي لعبت دوراً في حسم حرب غزة وتحقيق نصر للمقاومة على الجيش الإسرائيلي (صمود أهل غزة، المقاومة فيها، الدعم الرسمي الشعبي في المنطقة وفي العالم اجمع، غباء القادة في إسرائيل) تلعب وسائل الإعلام دوراً حاسماً ومتداخلاً في جميع هذه العوامل، فهي التي كشفت الجرائم وكشفت بهذا المقاومة والصمود وضحالة القادة متخذي القرار، سواء كانوا من السياسيين أو العسكريين في إسرائيل، وتعتبر عاملاً أساسياً في حسم الحرب، وتكون حرب غزة أول حرب في تاريخ البشرية تحسم بشكل كبير بوسائل الإعلام، ويمكن اعتبارها "جنرال إعلام" حين نقل هذا الجنرال وفي أغلب الأحيان ببث حي، إلى بيوت جميع سكان المعمورة ما تقوم به إسرائيل، هذا ما دفع الناس للتظاهر، وللتعاضد، وللوقوف إلى جانب سكان غزة المظلومين (صورة داوود) ووقوفه في وجه قادة إسرائيل الظالمين المدججين بالسلاح (جالوت)، الصحفي الإسرائيلي سيفر بلوتسكي يلخص ما سمعه وما شاهده في العالم

الذي شاهد ما بعث له هذا الجنرال المؤثر[1]: "إسرائيل خسرت في الحرب، خسرت بشكل كبير رغم استخدامها قدرات عسكرية كبيرة لم تستطع كسر حماس، ولم تقلل من قوتها، وفشلت في الحملة الإعلامية عندما وصفتها بأنها منظمة إرهابية تشكل خطراً على سلام العالم، هذا ما يقولونه اليوم "ليس فقط معارضوها ومنتقدوها وإنما أصدقاؤها ومؤيدوها الكبار... وتأتي من أناس أصحاب توجهات مختلفة، والاستطلاعات في الدول الغربية تقول إن إسرائيل لم تتغلب على حماس، وبهذا فقد خسرت"، يقول يهود من نيويورك: "لم تهزم حماس، لم يتم القضاء عليها، لم تستسلم حتى بالأمر اليسير المتوقع من منظمة مهزومة، على العكس، بقيت نشطة، تعرض شروطا، ماذا جنيتم؟ أين أخطأتم استراتيجيا؟"، ما أتى به الصحفي في استنتاج وكتبه للإسرائيليين: "حرب غزة التي يراها الإسرائيليون على أنها انتصار، شرّعت حركة حماس، ومنحت إسماعيل هنية شرعية".

أدركت إسرائيل أهمية هذا الجنرال حتى قبل بدء هجومها، حيث منعت دخول الصحفيين إلى قطاع غزة، ولم يستسلم هذا الجنرال، فكانت الصحافة موجودة على أرض المعركة، ودخل كثير من المراسلين من الجانب المصري عبر معبر رفح، ولاقى هذا الجنرال دعما وترحيبا من جانب المقاومة، فاهتمت بتأسيس وسائل إعلام ذاتية (حيث أقيمت مرئية الأقصى وعدد من محطات الراديو المحلية)، ودأبت على تقديم مختلف التسهيلات للصحفيين على اختلاف جنسياتهم ومؤسسات عملهم، وكان لمرئية الأقصى دور مهم في نقل الخبر، وتأليب الناس وتحريض المقاتلين على القتال ببث الأغاني الثورية، والمقابلات المختلفة، وإتاحة الفرص لقادة المقاومة لمخاطبة أهل غزة والعالم أجمع[2].

من جهة ثانية لا بد أن نذكر دور وسائل الإعلام الإسرائيلية في تضليل الإسرائيليين، فحين تسمع وسائل الإعلام العربية أو تلك الناطقة بلغات أجنبية التي كانت تنقل الصورة

---

١. يديعوت أحرونوت، ٢٧ كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٩

٢. من أبرز محطات التلفزة التي كانت تبث مباشرة من غزة: الجزيرة (العربية والإنجليزية)، الأقصى، القدس، المنار، العالم، البي بي سي.

والتعليق من غزة، وفي أغلب الأحيان بثاً حياً، وحين تسمع المرئيات الإسرائيلية، وتقرأ الصحف العبرية، تستنتج أن كل جانب يتحدث عن حدث آخر، ربما منطقة أخرى من العالم، وتبين في النهاية، أن الصورة الحية، هي أكثر صدقاً، ولم يكن بالصدفة أن قامت إسرائيل بمنع الصحفيين واكتفت بالتصوير الجوي التابع لجيشها، الذي صور وتغنى على أن الطيران الإسرائيلي قد أحرز إنجازا كبيرا حين قصف سيارة تنقل صواريخ غراد ونشرتها إسرائيل بشكل مكثف، ونشرتها وسائل إعلامها في جميع أرجاء العالم، تبين بعد تحقيق أجرته صحيفة هآرتس، وأحدث هزة كبيرة عند العديد من الصحفيين في إسرائيل، أن ما تم قصفه وتصويره كان نقل بالونات أكسجين من مكان لآخر بعد أن تعرضت إحدى المحادد إلى قصف جوي، كانت النتيجة أن قتل في القصف أولاد وزملاء الحداد أحمد سمور الذي قال:"فليأت خبراؤكم ليفحصوا، لم يكن هنا صواريخ وإنما بالونات أوكسجين"، وأضاف في مقابلة مع صحيفة هآرتس[1]: "من قتلوا لم يكونوا حماس وإنما أولادنا (عماد سمور ٣٢ وأشرف الدبار ٣٠، محمود غباين ١٥، رامي غباين ٢٣، أحمد حيلي ١٩، محمد ماضي ١٧، وسام عيد ١٤، محمد خبر ٢٠، بالإضافة إلى جرح أربعة أشخاص من بينهم اثنان في حالة خطرة: بلال غباين ١٩، وأخيه بهاء غباين ١٦.

زد على هذا، أتاحت وسائل الإعلام فرصة للناس كي تقارن بين قادة المقاومة ربما دون تمييز حين يتحدثون بثقة وإيمان وقدرات خلاقة ويخاطبون الناس على وجه هذا الكون، وبين قادة إسرائيل، مثل أولمرت الذي يتحدث بعصبية وربما رأسه مشغول في كيفية مصارعة إيهود باراك أو أي طريقة مقبولة للفلتان من التحقيقات الشرطية التي تحيطه من كل جانب بسبب فساده وغشه وخيانته للأمانة.

المفاجأة السابعة: انتصار فلسطيني في حرب الإنترنت

جنباً إلى جنب مع الحرب على غزة، رد الفلسطينيون والعرب والمسلمون في مختلف مناطق الأرض بنشاط منقطع النظير على شبكة الإنترنت لمساعدة أهل غزة والرد على

١. هآرتس ٢ كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٩

الدعاية الإسرائيلية التي عملت إسرائيل فترة طويلة لخلقها من أجل إقناع العالم بوجهة نظرها، ونشر في إسرائيل أنه منذ بداية الحرب تم اختراق آلاف المواقع الإلكترونية الإسرائيلية من بينها موقع حزب العمل الذي يعمل إيهود باراك، وزير الحرب في إسرائيل، رئيساً له[1]، وكان لهذا النشاط دور في حسم المعركة:

١- نجح هذا النشاط في تعبئة وتجنيد الكثير من الفلسطينيين، العرب، المسلمين، أو الأحرار لمناصروا أهل غزة وشعب فلسطين.

٢- استطاع هذا النشاط نقل جرائم الحرب حية إلى بيوت العالم مما شحن الهمم ودفع الكثير نحو التساؤل "ما العمل؟" ووجدوا بوسائل الاتصالات الالكترونية المتاحة والفعالة وسيلة سهلة للقيام بما رأوا أن من واجبهم القيام به.

٣- انتشار الفلسطينيين في العالم منحهم فرصا للتعلم وفرصا للاحتكاك مع الكثير من شعوب العالم فيتكلمون لغاتهم ويعرفون ثقافاتهم عن كثب، ولكنهم لم ينسوا أرض الآباء والأجداد وللكثير منهم أرض الأبناء، هذا، مع إدراك أهمية وسائل الاتصالات الحديثة وامتلاكهم الإمكانيات لمخاطبة الشعوب الأخرى بلغاتهم معبرين عن أحاسيس صادقة، مما ساعد على زيادة تأييد العالم للقضية الفلسطينية، وأتقن داعمو أهل غزة استعمال الفيسبوك، واليوتوب، والمنتديات المنتشرة على سطح هذا الكون[2]، إضافة إلى إرسال رسائل ومقالات وصور على البريد الإلكتروني حيث يستطيع كل شخص إرسال مئات الرسائل والمعلومات الإعلامية.

---

١. ذا ميركر، الملحق الاقتصادي لصحيفة هآرتس ٧ كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٩ ص٤.

٢. بعد فتح الحدود أمام الصحفيين دخل مراسلو واشنطن بوست إلى غزة، وكتب الصحيفة تقريرين مهمين: الأول تحت عنوان (No Home to Return to In Gaza) بتاريخ ٢٣ كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٩، والمقال الثاني حمل عنوان (Battered Gaza Still In the Grip of Hamas) نشر بتاريخ ٢٤ كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٩، وما لفت الانتباه هو نوعية ردود الفعل (comments) لهذه المقالات التي نشرت على شبكة الإنترنت، والتي كان أغلبها مؤيدا ومتعاطفا ويناقش الموضوع بثقة وبحماس.

ورغم استعداداتها المسبقة وتطوير نشاطات في قسم الناطق باسم الجيش الإسرائيلي، فشلت إسرائيل في حرب الإنترنت، فقد تحدثت على الهواء سفيرة إسرائيل في بلجيكا وهولندا خلال الحرب وقالت إن الصور التي تصل المشاهد الأوروبي قد حسمت المعركة الإعلامية وأن لا مجال للكلمات أمام الصور الصعبة القادمة من غزة[1].

يقول الكاتب المتخصص الإسرائيلي معيان كوهن: "كل أفلام الجيش الإعلامية التي ترتكز على الشرح المنطقي لا تستطيع التفوق على صورة واحدة من الجانب الفلسطيني تصف ما يدور على ساحة القتال"[2].

المفاجأة الثامنة: توازن الرعب تحقق استراتيجيا

حققت، بل ثبّتت حرب غزة ميزان رعب بين إسرائيل والمقاومة الفلسطينية، ومن الصعب تجاهل هذا من الجانب الإسرائيلي مهنياً، فقد بدأ التحول نحو خلق ميزان رعب بين الطرفين مع بداية انتفاضة الأقصى، حيث بدأ الفلسطينيون يؤلمون الإسرائيليين بشكل محسوس، ليفقد الإسرائيليون جزءا من أمنهم وأمانهم، ومنذ ذلك الوقت وهم يحاولون استعادة الأمر باستعمال كثير من الوسائل، أهمها: الاغتيالات والبطش وبناء الجدار العازل، إلا أن هذا لم ينجح، وكان أول من توصل إلى هذه المعادلة لتكون منطلقاً للتوصل إلى حلول مع مختلف الجهات الشيخ أحمد ياسين مؤسس حركة حماس حين حدد في بداية انتفاضة الأقصى قائلا: "بدأ الشعب الفلسطيني يطور نفسه بمواجهته مع العدو بالأساليب والأسلحة نفسها التي يستخدمها العدو.. ويبقى المستوى البسيط الذي يملكه الشعب الفلسطيني أقوى من المستوى الذي يملكه العدو، لأن المهم أن تحدث في هذا العدو خسائر وأن تحدث لدى العدو توازن رعب... نحن نموت ونزغرد ونخرج بمسيرات ونواجه بالحجر لكن العدو يولول ويهرب ويخاف.. الجندي الذي يركب الدبابة، والقنبلة

---

١. سمعتها على البث الهوائي في الأسبوع الثاني من الحرب، قد تكون السفيرة في بلجيكيا أو قد تكون السفيرة في هولندا.

٢. ذا ميركر، الملحق الاقتصادي لصحيفة هآرتس، ٧ كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٩، ص٤.

والصاروخ في يده خائف.. الإسرائيلي يمشي في السوق والشارع وهو خائف، يذهب إلى المدرسة وهو خائف، الرسول صلى الله عليه وسلم يقول "نصرت بالرعب مسيرة شهر" وهذه أول علامات النصر والتمكين"[1]، وحدد الشيخ ياسين معادلة هامة حين قال: "المقاتل الفلسطيني والمجاهد الفلسطيني يستشهد وهو يدافع عن دينه ونفسه أولا وأرضه ووطنه، ويدافع عن الأمة العربية والإسلامية التي هي مستهدفة من هذا العدو".

وفي فحص مدى الاعتراف بحقيقة حدوث توازن الرعب على الجانب الإسرائيلي نسمع من وقت لآخر بوجوب الاعتراف بهذا، وكان أبرزها اعتراف محرري صحيفة هآرتس، الأكثر اعتبارا بين الصحافة في إسرائيل، افتتاحية لصحيفة هآرتس الإسرائيلية (١شباط/ فبراير ٢٠٠٩) حددت ما يلي: مصلحة إسرائيل في غزة تثبيت إطلاق النار، ما قامت به إسرائيل خلال الحرب، أتى بالضرر على مكانتها على الساحة الدولية؛ حيث "بدأت حربا عادلة انقلبت لافتراس وحشي على المدنيين"، إسرائيل تعيش في عزلة واضحة، وهيجان في العالم العربي، أزمة مع تركيا، مطالب جديدة لمقاضاة قادة إسرائيل، فرنسا تتهم إسرائيل بأنها تمنع إعادة البناء في غزة، وإن "النصر" و"إعادة الردع" التي تحدث عنها حكام إسرائيل مشكوك فيها، فالاعتراف بحماس يتزايد في العالم، والرد الحاسم في غزة هي "حماقة مطلقة" ستزيد من عزلة إسرائيل، وإسرائيل تعيش سكرة القوة بعد الحرب، وطالب المقال أن على إسرائيل إيجاد حل سياسي مع حماس.

المفاجأة التاسعة: تأثير الحرب على نتائج الانتخابات الإسرائيلية

بالنسبة لكثير من الإسرائيليين انتهت حرب غزة بخيبة وإن ظلت وسائل الإعلام الإسرائيلية تذكر من حين لآخر أن إسرائيل كسبت الحرب، والخيبة تعود إلى:

أ- فشل متراكم في الساحة العسكرية حيث هُزِمت إسرائيل في حرب تموز/ يوليو عام ٢٠٠٦ عسكريا، ولم تستطع تحقيق أي هدف وضعته إسرائيل في حرب غزة عام ٢٠٠٩.

---

١. حوار مع الشيخ ياسين أجراه موقع البيان، الرابط: www.albayan-magazine.com/intifadah/intifadah-04/int-4-09.htm

ب- فشل على الساحة السياسية، حيث اعتقد زعماء إسرائيل أن الظروف كانت مواتية، لو تم التخلص من حماس في غزة، من تمرير ما وصفته صحيفة هآرتس بالخديعة الإسرائيلية: "لا يمكن التحدث عن حل دولتين وعلى ساحة الواقع تقوم إسرائيل بكل شيء من أجل منع هذا الحل"، وتصف الصحيفة أن كل مفاوضات أبو مازن وأولمرت، وأبو علاء وتسيبي لفني، كانت خديعة إسرائيلية[١].

ت- لم تكن زيادة قوة التيارات اليمينية الفاشية العنصرية المتطرفة في إسرائيل مفاجئة؛ فهي في ازدياد منذ نجاح حركة حماس في انتخابات المجلس التشريعي في كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٦ مروراً بفشل الحرب على لبنان في تموز/ يوليو ٢٠٠٦؛ حيث منحت حركةَ حماس شرعية شعبية، فقد شبه بنيامين نتنياهو فوز حماس بانتخابات الحزب النازي في ألمانيا عام ١٩٣٣[٢]، وما زاد من حفيظتهم أن حماس منذ انطلاقتها طرحت ميثاقا يرفض الاعتراف بشرعية وجود إسرائيل، ويعتقد قادتها كما عبر عنه الشيخ نايف رجوب عضو المجلس التشريعي الفلسطيني: "نحن مستعدون للموت، نحن لا نخاف الموت"[٣]، فقد أجريت استطلاعات مباشرة بعد حرب تموز/ يوليو ٢٠٠٦ في لبنان أظهرت أنه لو أجريت انتخابات حينئذ فسيحصل ليبرمان على ١٨ مقعدا في الكنيست، وزادت مقاعد الليكود حينها على ثلاثين مقعداً، وربما أصبحت المطالب أكثر فاشية ضد العرب، ورفع شعار ربط المواطنة بالإخلاص للدولة، حيث يصف غدعون ليفي ظاهرة ليبرمان بسرطان ينتشر في جسم المجتمع الإسرائيلي[٤]، ودل استطلاع أجري بين طلبة يهود في المرحلة الثانوية في إسرائيل ونشر في بداية شباط/ فبراير عام ٢٠٠٩ أن ٣٥٪ منهم يعتقدون أن إسرائيل دولة عنصرية[٥].

---

١. هآرتس ٢ شباط/ فبراير ٢٠٠٩

٢. انظر صحيفة معاريف، ٣ شباط/ فبراير ٢٠٠٦

٣. انظر صحيفة معاريف، ٣ شباط/ فبراير ٢٠٠٦.

٤. مقال كتبه غدعون ليفي تحت عنوان "انتصر كهانا"، هآرتس ٨ شباط/ فبراير ٢٠٠٨.

٥. أجراه معهد "تساوي" في إسرائيل ونشره موقع بانوراما، ٣ شباط/ فبراير ٢٠٠٩.

ث- هناك شعور بأن إسرائيل تعيش في فراغ زعامة، لا سيما أن من يحكم إسرائيل هو أولمرت، وهو زعيم فاسد تم التحقيق معه شُرطياً حتى موعد الانتخابات ١٣ مرة بتهم رشوة وخيانة الأمانة، وأدت أزمة الثقة المتواصلة بالزعماء السياسيين في إسرائيل إلى خلل في الذاكرة الجماعية الرسمية التي رسمتها القيادة التقليدية بقيادة بن غوريون، وهذه الذاكرة للشعوب تلعب دورا مهما في تحديد الذاكرة الجماعية الشعبية.

ج- فيما يتعلق بالصراع والعلاقة مع الفلسطينيين لا يوجد خلافات جوهرية بين الأحزاب الخمسة الأكثر قوة: الليكود، كاديما، إسرائيل بيتنا، العمل، شاس، وجميعها تكوِّن الأغلبية المطلقة في الكنيست؛ حيث يصل عدد أعضائها إلى ٩٤، وجميعهم، سوى قلة قليلة، يريدون السيطرة على الأرض الفلسطينية، ويرغبون في زرع مستوطنات يهودية في مختلف الأماكن، وكلما زاد مستوى التعليم زاد التوجه نحو التطرف عند العلمانيين وعند المتدينين على حد سواء[١]، وبعد يوم من الحرب وصف الكاتب الإسرائيلي غدعون ليفي قادة إسرائيل بأنهم "ثيران طائشة في الحارة".

ح- مثَّل ضعف الأحزاب اليسارية توجهاً عامّاً في إسرائيل، وأفقدها الطريق، واتبعت النفاق السياسي، فأدخلها في متاهات أبعدت كثيرا من الناخبين من حولها، فقلة عدد أعضاء حزب ميرتس في الكنيست، وهم ثلاثة، يعود إلى فقدان الطريق، حيث إنه دعم حرب غزة، وكشفت هذه الحرب التي أعادت الصراع إلى عام ١٩٤٨ كما تقول الصحفية عميرة هاس، نفاقهم حين يطالبون بالسلام، وهم أنفسهم يسكنون قرى عربية مهدمة منذ عام ١٩٤٨[٢]، وتصويت مؤيديهم التاريخيين لكاديما في هذه

---

١. نتائج استطلاع قام به د. هاني زبيدة، من مركز هرتسليا المتعدد التخصصات، في محاضرة في كلية تل أبيب بتاريخ ٢٤ تشرين ثاني/ نوفمبر ٢٠٠٨، ومن أبرز ما توصل له: ينقسم الإسرائيليون إلى ثلاث مجموعات: متدينين (٢٧٪)، محافظين (٥١,٧٪)، وعلمانيين (٢١٪).

٢. طرحته عميرة هيس في أول مقال لها بعد الحرب نشرته صحيفة هآرتس الإسرائيلية.

الانتخابات هو محاولة لخلق توازن ما في وجه اكتساح اليمين، وهو دعم لحزب امتهن النفاق السياسي من النوع الجديد، وهو أساسا تصويت تكتيكي لأن حزب كاديما لا يختلف كثيرا في النفاق السياسي عما تسمى الأحزاب اليسارية، ولا يختلف كثيرا عن اليمين في المواقف السياسية؛ فهناك قسم من زعماء الحزب خرجوا من رحم الليكود وآخرون خرجوا من حزب العمل، ويعودون تاريخيا إلى الجناح الأكثر تشددا تجاه العرب، رغم أن زعماء حزب كاديما يدعون أن حزبهم حزبا وسطيا.

خ- كشف المجتمع الإسرائيلي حقيقة أنه مجتمع لا يدرك ما حوله، وأنه يمكن الكذب عليه، وأنه متفكك ينقاد وراء قادة متهورين، لا يعرفون مصلحتهم الوطنية في سياق الحسابات الاستراتيجية محليا ودوليا، ويهدفون إلى طرد العرب المسلمين والمسيحيين جميعا من أرضهم فلسطين، وفرض سيطرتهم على المنطقة بالقوة معتقدين أن بإمكانهم عمل هذا من خلال قوة المدافع والطائرات.

د- شجعت الحرب الأخيرة قتل العرب وشرّعته، وهذا ما يندمج وروح مطالب ليبرمان، وربما هذا ما دفعه لأن يقول إنه الوحيد الذي يفهم اللغة العربية، أي إنه يعرف كيف يتعامل مع العرب، وبهذا جعله "المنطق العنصري الذي يسيطر على حياتنا" كما قال الكاتب الإسرائيلي يتسحاق لئور[1]، كما أوجدت الحرب حالة من الخوف وعدم الشعور بالأمان، مما يدعم مصالح كثير من مؤيدي لبرمان، من المهاجرين الجدد الذين يعملون في الحراسة وفي شركات أمنية.

ذ- زاد المواطنون العرب توحدا وتمسكا بالدفاع عن مصالحهم وهويتهم المشتركة نتيجة مباشرة لحرب غزة، وكان أمامهم خياران: التصويت لأحزاب عربية نشطة لعبت دوراً مهماً لتحدي سياسات إسرائيل منذ قيامها، أو مقاطعة الانتخابات وعدم القبول بالمشاركة باللعبة الديمقراطية احتجاجا على ما يدور، لأنهم يعتقدون أن

١. كتبه في مقال نشرته صحيفة هآرتس تحت عنوان "لبرمان يعود من غزة"، ٢ شباط/ فبراير ٢٠٠٩.

إسرائيل تستفيد عند مشاركتهم، وأن الفائدة المجنية من وراء هذا أقل بكثير من الثمن الذي يدفع، ووصلت نسبة المصوتين العرب في الانتخابات الحالية حوالي ٥٧٪[١]، مع أن هناك من يشير الى تزييف مستمر يتم بعد إغلاق الصناديق، حيث يتفق ممثلو الأحزاب العربية على إضافة أصوات في الصناديق قبل عدها بشكل متساوٍ، والتطور الذي يعود في أغلبه الى نتيجة الحرب هو انخفاض المصوتين العرب إلى الأحزاب الصهيونية لتصل إلى ١٨٪ بما في ذلك الدروز وقسم من سكان القرى النائية ومن القرى البدوية العربية.

ر- بعض الذين ينظرون للأمر نظرة شمولية يرون أن إسرائيل ليست اللاعب الوحيد في هذه المنطقة، وأن نجاح الأحزاب اليمينية قد يخدم مصلحة السلام، فقد عبّر غدعون ليفي عن سعادته من هذا التطور حين قال: إن الليكود سيكشف عن وجه إسرائيل الحقيقي ويجسد في حقيقته "نهاية الخديعة العظمى.. كذبة المفاوضات وهبل مسيرة السلام ... مع انتخاب إنسان (بيبي نتنياهو) يتحدث عن سلام اقتصادي تنكشف الخديعة من أوسع الأبواب"[٢].

المفاجأة العاشرة: تفاعلات الحرب في منطقة الشرق الأوسط

مع بدء معركة غزة وخلالها وبعدها حدثت تحركات رسمية وشعبية منقطعة النظير في الشرق الأوسط لدعم القضية الفلسطينية والوقوف إلى جانب أهل فلسطين في محنتهم، والوقوف في وجه سياسات قادة إسرائيل، وكثرت الاحتجاجات الرسمية والمظاهرات الشعبية في كل العواصم العربية، ويعود هذا بالأساس إلى كشف الواقع كما هو، الجرائم الإسرائيلية التي بدأت تظهر على شاشات التلفزة والحواسيب البيتية في بيوت الناس، وزيادة الوعي تجاه الصراع والموازين الدولية، ونستطيع أن نشير إلى التفاعلات التالية:

---

١. حسب تقديرات الأطرش، مدير مركز يافا لاستطلاع الرأي العام، هآرتس ١٢ شباط/ فبراير ٢٠٠٩.

٢. هآرتس ٥ شباط/ فبراير ٢٠٠٨.

- ربما تكون أبرز النتائج المترتبة على الحرب في الشرق الأوسط هبة الجماهير العربية والإسلامية وتلاحمها ونزولها الشوارع في كل مكان تأييدا للمقاومة، لصمود أهل غزة، ورفضها العارم لنهج التسوية مع إسرائيل.
- لم ينتظر زعماء كثير من الدول الإسلامية مؤتمر قمة الكويت لمناقشة الحرب، لأن عامل الوقت كان مهما، فعقدوا اجتماعا في مدينة الدوحة بحضور أكثر من ١٢ دولة عربية وحضرته كل من إيران وتركيا، وكان هذا المؤتمر بداية حاسمة في التحالف العربي والإسلامي الشرق أوسطي في مواجهة الخطر الذي يواجه المنطقة، ولم يعد يراه المجتمعون بأنه خطر يواجه الفلسطينيين وحدهم بل الأمتين العربية والإسلامية معا.
- بعد أيام من مؤتمر الدوحة عُقد مؤتمر القمة العربي في الكويت واتخذ قرارات تهدد إسرائيل بأن الزعماء العرب سيسحبون مبادرتهم للسلام مع إسرائيل إذا استمرت في تجاهل حقوق الشعب الفلسطيني.
- دخلت تركيا المنطقة من أوسع الأبواب، ورغم قرارات مؤتمر وزراء عدد من الدول العربية في أبو ظبي، الذي طالب "غير العرب" عدم التدخل في المسألة الفلسطينية، وكان المقصود إيران وتركيا، إلا أن تركيا عازمة على التدخل الفعلي، وهذا يعتبر أبرز تغيير في المنطقة إثر حرب غزة، فزعماء تركيا يرون القضية الفلسطينية مهمة بالنسبة لتركيا وتخدم مصالحها الإقليمية العليا، وشعروا وبشكل لم يسبق له مثيل أن هناك فراغاً قيادياً عربياً في تناول الصراع مع إسرائيل التي أعدت جيشا جرارا لمهاجمة قطاع غزة المحاصر، فقرروا ملئه وهكذا كان[1]

لقد عززت الحرب دور تركيا الإقليمي، وكانت بمثابة فرصة لتجسد تركيا قوتها كأبرز قوة في الشرق الأوسط ترتكز في دبلوماسيتها على اقتصاد نام ومتطور، وعلاقات حسنة مع الشرق والغرب، وقد يكون لدور تركيا واعترافها بأهمية حركة

١. مقابلة مع عزمي بشارة، الجزيرة برنامج بلا حدود، ٤ شباط/ فبراير ٢٠٠٩، الساعة ٢٢:٠٥.

حماس العامل الذي غيّر موقف أوروبا الغربية من تأييدها لحكومة وحدة فلسطينية بعد أن كانت ترفضها إثر إعلان نتائج الانتخابات في كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٦، حيث شكلت حركة حماس أغلبية في المجلس التشريعي، ومن جهة ثانية وجد الفلسطينيون في تركيا حليفا استراتيجيا سهلا للاعتماد عليه في رسم المكاسب السياسية بعد الحرب لأنها تؤيد القضية الفلسطينية، ولهذا التأييد امتدادات تاريخية ودينية، وتنتهج سياسة معتدلة في علاقاتها الدولية.

ترى تركيا اليوم أن عليها أن تكون لاعبا نشطا في المنطقة، لا سيما بعد أن استنجدت بها حركة حماس، أمام ما يعتقد البعض أنه مؤامرة من دول عربية عليها لإضعافها، وربما للقضاء عليها، وخلق فراغ سياسي تملؤه قوى مؤيدة للتسوية السلمية، وترى تركيا نفسها اليوم أنها تحظى بدعم القوى المقاومة في المنطقة، وتستطيع أن تلعب دورا أكثر نجاعة من إيران.

وما يميز دعم موقف تركيا الرسمي في وقوفها في وجه إسرائيل هو أن الشعب التركي يدعم القضية فلسطين عموما، وقد استطاع تجنيد أكبر مظاهرة شعبية تأييداً لأهل غزة بلغ عدد المشاركين فيها أكثر من ١,٥ مليون تركي.

ورأت إسرائيل في المقابل أن مواقف تركيا في الحرب وما بعدها يعد تطوراً خطيراً؛ حيث إن تركيا تشكل في نظر الإسرائيليين "كنزا استراتيجيا" بالنسبة لإسرائيل[١]، وقد عبّر أولمرت عن قلقه من التطورات في العلاقات الإسرائيلية- التركية، وحاول تحسين الجو حين عبّر عن تفهمه لموقف رئيس الوزراء التركي أردوغان في دافوس حين تصدى لخطاب الرئيس الإسرائيلي شمعون بيرس قائلا: "أيضا تركيا لها حسابات داخلية، فهي دولة مسلمة وعلى عتبة انتخابات"[٢].

لكن ما سيحدث في القريب سوف يقلب الكثير من الحسابات ولاسيما وخاصة

١. هآرتس، ٢ شباط/ فبراير ٢٠٠٩.
٢. السابق.

بعد أن بدأ المدعي العام التركي التحقيق في دعوى تقدمت بها مؤسسات إسلامية بتركيا ضد قادة إسرائيل، من بينهم شمعون بيرس، إيهود أولمرت، إيهود براك، وتسيبي لفني، ويطالب مقدمو الدعوى أن تقوم السلطات التركية باعتقال أي قائد إسرائيلي متهم حال أن تطأ قدمه أرض تركيا أو أي بلد بينه وبين تركيا اتفاقية تسليم متهمين.

المفاجأة الحادية عشرة: تأثير الحرب على الساحة الدولية

استطاع الفلسطينيون بصمودهم وتحديهم ونجاحهم، عبر وسائل مختلفة، كشف ما تفعله إسرائيل في المدنيين في قطاع غزة، واستنهاض مناطق كثيرة في العالم، لا سيما تلك المناطق التي يسكنها فلسطينيون وعرب ومسلمون وقوى تدعم السلام والعدل في العالم.

وعلى المستوى الرسمي، قامت بعض دول العالم بقطع علاقاتها مع إسرائيل، مثل فنزويلا وبوليفيا، وحدثت تغييرات نوعية في الكنيسة النرويجية؛ حيث بدأت الكنيسة بجمع التبرعات وإرسالها لإغاثة الشعب الفلسطيني في غزة، وعلى مستوى الفاتيكان، وهو الكنيسة الأكثر تأثيرا في الغرب وربما في العالم، وصف الكاردينال رناتو مرتينو، رئيس المجلس البابوي للسلام والعدل في الكنيسة الكاثوليكية، وصف ما يجري في غزة بمثابة "معسكر تركيز كبير".

وربما كان من أكثر ما أثأر الرأي العام العالمي هو أن تقوم إسرائيل- التي تدعي منذ عشرات السنوات أن سكانها اليهود هم ضحايا النازية- بأعمال ضد أهل غزة رآها كثيرون مشابهة لتلك التي قام بها هتلر، ووزعت مادة إعلامية على شبكة الإنترنت تحتوي على عشرات الصور ليهود يعذبون من النازيين وبجانبها صور مشابهة لفلسطينيين تعذبهم إسرائيل، وكان لهذه الصور وقع كبير على الإسرائيليين[1]، وعبر بعضهم بطرق مختلفة عن

---

١. أرسلت هذه الصور إلى العديد من المعارف اليهود، ممن يعتبرون أنفسهم من اليساريين تحت عنوان:

THE GRANDCHILDREN OF HOLOCAUST SURVIVORS FROM WORLD WAR II ARE DOING TO THE PALESTINIANS EXACTLY WHAT WAS DONE TO THEM BY NAZI GERMANY

استيائه؛ فقد اقتبس الصحفي يغئال لبيب قول المؤرخ أيان كارشو مؤلف كتاب "قرارات مصيرية" الذي قال: "ما جرى لليهود على يد النازيين منح شرعية أخلاقية لإقامة دولة إسرائيل وبعدها تأييدها ... هذا الكنز الأخلاقي تآكل في حرب غزة"[١].

كثرت المظاهرات ضد إسرائيل وتأييدا للفلسطينيين في جميع مناطق العالم حيث يوجد فلسطينيون وعرب ومسلمون وغيرهم من المدافعين عن المظلومين في الأرض، واستمرت حتى بعد إعلان وقف إطلاق النار، فعلى سبيل المثال، نظمت مظاهرة في جنوب إفريقيا تحت عنوان "مجزرة غزة وسياسات الأبرتهايد الإسرائيلية في المناطق المحتلة" وتحدثت بها نائبة وزير خارجية جنوب أفريقيا فاطمة حجاج بقولها: "أمريكا ودول غربية أخرى ما زالت تعتمد على الأموال اليهودية"[٢]، وأكدت صحيفة وول ستريت جيرنال الأمريكية أن الحرب على غزة زادت قوة حركة حماس وخرجت من الحرب منتصرة، ولذلك يجب على إسرائيل تقبل حكومة حماس على أراضي السلطة الفلسطينية[٣].

وفي أوروبا حدث تغيير مهم في سياساتها تجاه المنطقة؛ فقد نظمت مظاهرات ضخمة في مدن أوروبية عديدة، وأُجبر الاتحاد الأوروبي على قبول حكومة وحدة وطنية فلسطينية، فبعد أن رفضها بسبب سيطرة حركة حماس عليها إثر الانتخابات التشريعية

وكانت ردودهم، رغم أنني لم أكتب أي تعليق على الصور، حادة جدا إلى حد مهاجمتي شخصيا واتهامي بأني أروج لمثل هذه الصور، ولمشاهدة المعلومات يمكن التوجه إلى الرابط التالي:
HTTP://CO119W.COL119.MAIL.LIVE.COM/MAIL/INBOXLIGHT.ASPX?FOLDERID=1&INBOXSORTASCENDING=FALSE&INBOXSORTBY=DATE&N=554406352

١. مقال كتبه يغئال لبيب، نشره موقع nana10.co.il ، ٢٩ كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٩.

٢. يديعوت أحرونوت، ٢٧ كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٩.

٣. اقتبس المقال الذي نشر في نهاية الأسبوع الأخير من شهر كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٩ في صحيفة يديعوت أحرونوت بواسطة الصحفي سيفر بلوتسكر، بتاريخ ٢٧ كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٩ ص ٢٩.

الفلسطينية في كانون ثاني/ يناير عام ٢٠٠٦، وافق على التعامل معها.

ومن أوروبا أيضا ترتفع الأصوات، وتبذل الجهود لمحاكمة قادة إسرائيل بتهم ارتكاب جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية في حربها على قطاع غزة.

إلا أن الخط العام لأوروبا الرسمية ما زال يميل لتأييد إسرائيل، وحالاً وبعد وقف إطلاق النار، هرعت قيادات الدول الأساسية في أوروبا (بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا والتشيك) إلى إسرائيل لتعزية أولمرت ولفني وباراك على نتيجة الحرب، وتشجيعهم بسبب الفشل، ولم يترددوا في دعم إرسال فرقاطة فرنسية على الشواطئ الفلسطينية من قطاع غزة لمنع ما يسمونه "تهريب السلاح"، وليصنعوا من قضية تهريب السلاح قضية أساسية، متجاهلين أمرين مهمين: أن العامل الحاسم في هذه الحرب هو الإنسان الفلسطيني نفسه، بعزيمته وإيمانه واستعداده للتضحية من أجل العيش الحر الكريم، وليس السلاح ومدى التطور التكنولوجي، وإن كان يلعب دورا مهما في مواجهة تأثير الضربات ومداها.

والأمر الثاني أن أغلب السلاح الذي يستعمله المقاومون، لا سيما في مجال العبوات والقذائف ضد المدرعات وغيرها، يتم تصنيعه محلياً في غزة ولا يتطلب تهريباً من خارج القطاع.

المفاجأة الثانية عشرة: الولايات المتحدة كلاعب "جديد" في المنطقة

أُجبر الرئيس الأمريكي الجديد باراك أوباما أن يضع القضية الفلسطينية على رأس أولوياته في الشؤون الخارجية، بعد أن رشحت توقعات بأن الازمة الاقتصادية في أمريكا ستشغله ولن يتمكن من معالجة القضية الفلسطينية ومسألة الاحتلال الإسرائيلي.

فقد ظهرت تغييرات مهمة في أمريكا، وما تحدث عنه الرئيس أوباما في خطاب التنصيب أمر مهم، ولا يقل أهمية عما يحدث في مجلس النواب الأمريكي، حيث هناك تحركات ليس لها أسبقية في تاريخ الصراع العربي- الإسرائيلي من ناحية التقرب في التعامل مع الطرف الفلسطيني، والرئيس أوباما يرث تاريخاً من العلاقات بين إسرائيل

والرئيس الأسبق كلنتون، ففي فترة رئاسته كانت الإدارة الأمريكية قلقة ومنزعجة من رئيس وزراء إسرائيل نتنياهو، فعلى سبيل المثال وصفه الرئيس كلينتون بصفات سلبية، مثل "كذاب بتواصل وخداع ومتعجرف"، ويعتقد أنه يمثل دولة عظمى، وكذلك يبدو أن حرب غزة- كما دفعت الدبلوماسي البريطاني المسؤول عن دول جنوب آسيا في وزارة الخارجية البريطانية روئان ليكستون لشتم إسرائيل- قد دفعت أعضاء في الكونغرس الأمريكي للوقوف إلى جانب أهل غزة، وإن يبدو أن الطريق ما زال في أوله[1].

طلب ٦٤ عضوا في مجلس النواب الأمريكي من الرئيس أوباما في الأسبوع الأول لشهر شباط/ فبراير ٢٠٠٩ أن يعالج وبشكل عاجل المأساة الإنسانية في قطاع غزة، ووقع ٣٢ منهم على عريضة تلتزم بها الولايات المتحدة بتأييد مبادرة دبلوماسية من أجل أن تقوم الإدارة الأمريكية بتنفيذ حل الدولتين في المنطقة[2].

من خلال الاستطلاع على ما تكتبه وتبثه بعض وسائل الإعلام الأمريكية، ومن ضمنها الواشنطن بوست، لاحظنا تغييرا معينا لا بد أن نشير إلى بعض مواصفاته؛ فقد قام بتغطية الحرب مع التركيز على البعدين الإنساني والسياسي، وخاصة زيادة تأييد الشعب لحركة حماس في قطاع غزة، بعكس كثير من التوقعات.

حمل خطاب تنصيب أوباما في طياته روحاً من التغيير، خاصة أنه يخاطب العالم الإسلامي، ويطلب أن تكون العلاقات مبنية على المصلحة المشتركة والاحترام المتبادل، وكذلك، وربما لأول مرة، يؤكد رئيس أمريكي أن الثقافة الأمريكية ليست "يهودية- مسيحية" الأصل، وإنما يحدد أن البعد الأول فيها هو المسيحي والبعد الثاني هو

---

١. عندما شاهد الدبلوماسي البريطاني صورا من غزة شتم إسرائيل بشكل كبير الأمر الذي أثار حفيظة من كان حوله. للمزيد حول هذه الحادثة انظر هآرتس ١٠ شباط/ فبراير ٢٠٠٩ ص١٤.

٢. انظر المزيد من التحولات في مقال عقيبا الدار، هآرتس، ١٠ شباط/ فبراير ٢٠٠٩.

الإسلامي، حيث إن المجتمع الأمريكي مكون من عدة مجتمعات، مسيحيين ومسلمين ويهود وهنود وغير مؤمنين، وقد حدد مبعوث الولايات المتحدة للشرق الأوسط جورج ميتشل، في تقريره عام ٢٠٠١، أن الاستيطان في المناطق المحتلة أساس للمشكلة، أي إن سلب الأراضي العربية الفلسطينية هو أساس المشكلة.

وربما كان تعيين الأدميرال جراير منسقا عاما لأجهزة المخابرات الأمريكية أكثر التعيينات ارتباطاً بالحرب على غزة في إدارة الرئيس أوباما، حيث قال في شهادته أمام مجلس الشيوخ: إن الولايات المتحدة ستلتزم باتفاقيات جنيف، وستلتزم بالقانون الدولي، وأعلن أوباما موقفاً حاسماً من الأنظمة التي ترتكز في وجودها على الفساد والاستبداد.

كما أن تعيين البروفيسورة سمنثا باور، من جامعة هارفرد والناشطة في حقوق الإنسان، لمنصب مهم في مجلس الأمن القومي بداية شهر شباط/ فبراير ٢٠٠٩، كان له كثير من الدلائل، من أبرزها أن رؤية أمريكا للأمور تختلف من الآن فصاعداً، خاصة أن باور كان لها الجرأة الكافية لتتهم إسرائيل بارتكاب جرائم حرب في هجومها على الضفة الغربية بعامة عام ٢٠٠٢ وفي مخيم جنين خاصة[١].

الخلاصة

في هذا الوقت تمت مناقشة معركة غزة ٢٠٠٨/ ٢٠٠٩ وتداعياتها على الساحة الفلسطينية، والإسرائيلية، والشرق أوسطية، والعالمية، ورأينا أن صمود المقاومة الفلسطينية، بل وانتصارها في الحرب، جعلها نقطة تحول تاريخية في التاريخ الحديث، هزَّ توازنات على أصعدة كثيرة، وفرضيات كثيرة من الأساس، وتم استعراض المفاجآت الفلسطينية في الحرب التي كانت سبباً أساسياً لانتصار فلسطين وفشل الحرب من الجانب

١. مقال كتبه المؤلف عن انتصار أوباما واحتمال الدور الذي سيلعبه على الساحة الدولية بعنوان "انتصار أوباما كظاهرة تمكين تحقق: فوزه في الانتخابات يزيده تمكينا" انظر أسبوعية فصل المقال ٢٦ تشرين أول/ أكتوبر، ٢٠٠٨، أو على المواقع التالية: www.Amin.org ، www.arabs48.com

الإسرائيلي، وتداعيات هذا الفشل على الساحة الإسرائيلية، كما تجسد في نتائج الانتخابات التي أجريت بعد ثلاثة أسابيع من انتهاء الحرب، وتغيرت موازين في المنطقة حين طلبت حركة حماس من تركيا التدخل، ولبت الثانية النداء، ووصل الأمر إلى أن يطالب الرئيس مبارك بإقامة شرق أوسط جديد، وحدثت تغييرات في كثير من مناطق العالم، على المستوى الشعبي وعلى المستوى الرسمي، وأكثر ما يلفت الانتباه أن هذه الحرب أجبرت أوروبا على تغيير موقفها من حكومة الوحدة الوطنية الفلسطينية، وأجبرت الرئيس أوباما أن يضع قضية الصراع العربي- الإسرائيلي على رأس أولوياته في السياسة الخارجية، وتطرح الدراسة تفاؤلاً من مواقف أمريكا تجاه المنطقة، لا سيما أن ثمة مؤشرات عينية، من أبرزها أن أمريكا ستسير وفق قواعد القانون الدولي وتعمل على المحافظة على اتفاقيات جنيف المختلفة، وتستنتج الدراسة أن من يحترم نفسه، فرداً ومجتمعاً وشعباً، يحترمه الناس، ومن المتوقع أن تكون هناك تغييرات إيجابية تجاه قضية فلسطين وشعبها، فهو شعب لا يغير مواقفه بإغراءات مادية من هنا وهناك أو بعدم وجودها.

مراجع

مصادر باللغة العربية

- أيلان بابه، ٢٠٠٦م "التطهير العرقي في فلسطين"، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان.
- أحمد منصور، ٢٠٠٤: الشيخ ياسين شاهد على عصر الانتفاضة، كتاب الجزيرة- شاهد على العصر، الدار العربية للعلوم وابن حزم، المكتب المصري الحديث، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
- كمال الخطيب، ٢٠٠٩ "أرادت إسرائيل الفوز بالضربة القاضية ففازت حماس بتسجيل النقاط" أسبوعية بلدنا، الصادرة في الطيبة المثلث، بتاريخ ٣٠ كانون الثاني، ٢٠٠٩م.
- عزمي بشارة، ٢٠٠٩م مقابلة في برنامج "بلا حدود"، قناة الجزيرة الفضائية، ٤ شباط، ٢٠٠٩ الساعة ٢٢:٠٥ بتوقيت مكة المكرمة.

مصادر باللغة الانجليزية

MASSOUD EGHBARIEH،
1991 "ARAB CITIZENS IN ISRAEL: THE ONGOING CONFLICT WITH THE STATE"، A PH.D DISSERTATION IN GORVERNMENT AND POLITICS، UNIVERSITY OF MARYLAND، COLLEGE PARK، MD، USA

NELSOM MANDELA،
1995 "LONG WALK TO FREEDOM": THE AUTOBIOGRAPHY OF NELSON MANDELA، LITTLE، BROWN AND COMPANY، NEW YORK

YORAM PERI،
2006 "GENERALS IN THE CABINET ROOM: HOW THE MILITARY SHAPES ISRALEI POLICY" US INSTITUTE OF PEACE، WASHINGTON D.C.

ARIEL SHARON،
2001 "WARRIOR: AN AUTOBIOGRAPHY"، TOUCHSTONE، SIMON AND SCHUSTER INC. NEW YORK

مصادر باللغة العبرية

- صحيفة هآرتس الإسرائيلية وموقعها على شبكة الإنترنت:

WWW.HAARETZ.CO.IL
- صحيفة يديعوت أحرونوت، وموقفعها على شبكة الإنترنت WWW.YNET.CO.IL
- صحيفة معاريف وموقعها على شبكة الإنترنت: WWW.NRG.CO.IL

- **אמנון סלע،** "לשנוא את הלוחמים"، הוצאת פועלים، הקיבוץ המאוחד، ישראל
- ٢٠٠٨ "בגין: ١٩١٣-١٩٩٢" הוצאת ספרים עם עובד، תל אבי שילון، אביב، ישראל